رشيد

ثلاثة من الاعلام

خليل رشيد

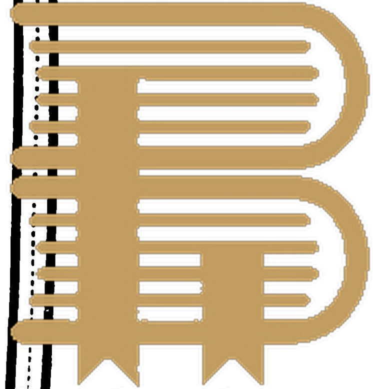
٥/١/٩٦٥ - العمارة - العرا

ثلاثة من الاعلام

الشريف الرضى

دعبل الخزاعى

عائشة التيمى



مطبعة الغري الحديثة في النجف

الإهداء

الى كل عزيز ابي النفس يرفع هذا الحديث .

(المؤلف)

المقدّمة

نحن الآن في ظرف جد عصيب . ومرحلة جد دقيقة وخطيرة من المراحل التي يجتازها الأدب العربي اليوم . وكلنا يرى ولا شك هذه المرحلة الدقيقة بجلاء و وضوح . وكلنا يلمس هذه الحقيقة الخطرة بتأكد . من ان العالم الأدبي تجتاحه موجة طاغية من موجات الأدب الرخيص . ادب المتسكعين من المرتزقة الأفاقين . ادب الدعارة لأحدى الكتلتين الشرقية او الغربية حتى طمت هذه الموجة من الأدب . الأدب العالي الرفيع او كادت ان تغمره بما تعرض من منتوج مبتذل مهين . تدعمها يد السلطان وتسندها الطبقة الحاكمة . معززة وما تعرضه من منتوج فاسد بحماية النظم والقوانين :

ولا شك ان تاريخ الأدب العربي حافل بالمغريات من اعطيات

الخلفاء ومقربيهم لقادة الفكر العربي يبذخ ما بعده بذخ واسراف ما وراءه اسراف لقاء قصيد او مقابل لاشيء . بيدان هذا اللاشيء هو المساومة على الضمير الأدبي . المعبر آنذاك ولم يزل عن ارادة الأكثرية الساحقة من ابناء هذه الأمة . فيخرس لقاء هذا العرض ومقابل هذه المساومة . عن التعبير بارادة الامة . والأفصاح بغرض الاكثرية . ليتكلم بارادة الأقلية مقابل هذا العرض . . لا شك وان هذا الادب يلقي العشب الضارة في طريق المجتمع . ويذر الرماد في العيون . . فيتراجع امام هذا التيار الجارف العنيف . الأدب الحي الرفيع ادب الحياة . ادب الشعوب . ادب المترفعين عن مصانعة السلطان ومصانعة الذل. بيد ان هذا التراجع لم يدم طويلا اذ هو مصداق الآية الشريفة — فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض — صدق الله العظيم في قوله . اذ لا يمكن الخلود لأدب رخيص . اجره عرض زائل وقبضة من مال . . . وليس الغرض من الادب تحبير كلمة ونضد قصيد مطرز بالبيان

وموشح بالبديع وموشى بالزخرف البلاغي الجميل . محلا بارادة الاسياد لقاء دراهم معدودة وثمن بخس . متقاضياً هـذا الثمن اديب دنيء مأجور بيد معروقة وجبين صفيق . فيودي بارادة الأمة وغرض المجموع على مذبح اطماعه الدنيئة لقـاء ما تقاضاه من اجر . فيقدم ادبا هزلا ميتاً بوحي من ضمير ميت وعاطفـة ذبيحـــة وقلم اجير . . وكثيراً ما اهمل التـاريخ ادب هؤلاء المرتزقة من سجله . وما الخـلود إلا لأدب يقارع عصى الذل ويجابه الطبقة الحاكمة بارادةالأمة وغرض المجموع . ويصارح بالحقيقة التي عليها حالة الأمة . ولو اسلمته هذه الحقيقة لحبل المشنقة وسيف الجلاد والزج في اعماق السجون . اذ هو شريان الأمة النابض بالحياة والمتدفق بحرارة الايمـان نحو ارادته . فيسير بركاب الحياة باقياً بقـاء الدهر والزمن . يعبر عن ارادة الشعوب مترفعاً عن الخضوع والخنوع والاستكانة لذوي السلطة والشأن والنفوذ . وكثيراً ما تمخض هـذا النوع من الادب عن حياة مثلى وعيش هين رغيد . بما يسكبه من دواء

وعقاقير على جرح الحياة فيلئمه بما ينهض به من مستوى عال رفيع . . ولا غرابة اذ الأدب الحي الرفيع . صراع عنيف يشنه الأدباء على الامراض الاجتماعية الكامنة بين المجتمع الذي يعيشون فيه . ولن يخضع هؤلاء الادباء حتى يستأصلوا هذا الداء من مكمنه بسلاحهم الجبار القلم . وما القلم عند هؤلاء إلا كمبضع الجراح في استئصال الداء عند الطبيب . وما طغيان القلم هذا وانتصاره إلا وثبة من وثبات العقل الجبار وخلجة من خلجات النفس الشاعرة بحقها وومضة من ومضات الفكر الثائر . يقتحم به الادباء الارض المسبعة وعرين الاسد . بقوة البيان ورصانة الاسلوب وجزالة اللفظ وحسن الاداء . لما تفرضه الحركات الفكرية الثائرة . فينتج عن تفاعل موجاتها الصاخبة اكتساح الطفيليات التي تعيش على جنبات الحياة . والحياة بالمعنى الصحيح اجزاء متراصة مترابطة لمكافحة هذه الطفيليات التي تعكر صفو الحياة ورقة العيش فيها . . ولا يسع الاديب الناقد ايها السادة والكاتب البليغ . وهو ممسك ببراعته ليدون

بمذكراته مدى اعجابه بهؤلاء الادباء إلا التراجع . اذ لهؤلاء الادباء طابع خاص . طابع العزة والكرامة والاباء . لم تخضد شوكتهم صخرة الظلم والطغيان ولم تلن قناتهم لبريق الاصفر الرنان . واولا ؤهم جبابرة الفكر وطواغيت الادب وقادة العقول الاعزة من قادة الفكر وشيوخ تمادة المعنيين بقوله عزت اقواله — ولله العزة ولرسوله والمؤمنين — وهم الذين عناهم جلت قدرته — من كان يريد العزة فالعزة لله جميعاً — وهم الذين ائتمروا بقوله تعالى — ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين — وهم الذين يحسبهم الجاهل اغنيـاء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا — ويدعمنا كثير من الآيات البينات في هذا الباب — .

فلنسلط المجهر الكشاف . ليلقي لنا بعض الضوء من الحديث الشريف في هذا الباب ايضاً . قال (ص) ـ المؤمن اعز من الجبل ـ اي اصلب . وهذا حديث آخر يحدثنا به مرشد الامة وهاديها (ص) فيقول ـ ولا ينبغي لمؤمن ان يذل نفسه وفي

الارض للحر الكريم منادح ـ اي متسع ـ وحدث ابو الزهراء مرة فقال : ـ ان الله يحب معالي الامور ويكره سفاسفها ـ وقيل ما الوهن .. ؟! فقال (ص) : حب الدنيا وكراهية الموت. .

وهذا صاحب النهج . غذي الرسالة امير المؤمنين علي عليه السلام . يكتب لأخيه عقيل منهجه في الحياة فيقول : ـ ولا تحسبن ابن ابيك ولو اسلمه الزمان والناس متضرعاً متخشعاً ولا مقراً للضيم واهناً ولا سلس الزمام للقائد و لا وطيء الظهر للراكب المقتعد ولكنه كما قال اخو بني سليم :

فان تسئليني كيف انت فانني صبور على ريب الزمان صليب
يعز علي ان ترى بي كآبة فيشمت عاد او يساء حبيب

وهذا خالد بن الوليد يفرغ لنا فلسفته في الحيـــاة فيقول قولته المأثورة ـ أدن من الموت توهب لك الحياة ـ اراد بها الحياة المثلى المليئة بالعزة والكرامة . . . وقيـل ان في الحسن شمخرة . . قال ولكن في عزة . والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين :

وهذا اطار جميل من المثل العربية نحيطه حديثنا . وحجتنا

من المثل العربي كثيرة وكثيرة جداً . والمثل العربية في الحجة امتن من قول حكيم . وقد ضرب الله الامثال في القرآن الكريم كما جاء في سورة الاسراء ـ ولقد ضرب الله الامثال للناس في هـذا القرآن من كل مثل ـ وكما جاء في سورة ابراهيم ـ وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال — :

قالت العرب بامثالها في الرجل الابي العزيز (١) فلان اعز من انف الاسد . واعز من كليب وائل . واعز من الابلق العقوق . ومن عزيز . وامنع من لهاة الاسد وعز الرجل استغناؤه عن الناس . وتجوع الحرة ولا تأكل بثديها . ورد الحجر من حيث جاءك . والسؤال ذل ولو اين الطريق . والمنية ولا الدنية . وموت لا يجر الى عار خير من عيش في رماق :

---

(١) الأبي لغة كما ورد في المنجد . المتكره المترفع عن الدنايا ورجل أباه . يأبى ان يضام والعزة كما ورد بنفس المصدر . الغلبة في المعازة الحمية والانفة والعزيز الشريف القوي المكرم

و هذه بعض المثل العربية . تضرب في ضربت عليهم الذلة فتقول : فلان اذل من وتد واذل الناس معتذر الى لئيم . وذل من لاسيف له . و نلمع هذا الأطار من المثل العربية بقول حكيم . الموت في قوة وعز . خير من الحياة في ذل و عجز :

لنجنح نحو الشعر العربي قليلا . قد نجد فيه ما يروي غلتنا من هذا الموضوع لنسمع ابا الطيب وهو ينشد :

كم مخلص و غلاً في حوض مهلكة
وقتالة قرنت بالذم في الجبن
لا يعجبن مضيما حسن بزته
وهل يروق دفيناً جودة الكفن

وقوله :

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام

و هذا ابراهيم احمر العينين يرثي اخاه محمداً ذا النفس الزكية فيقول :

سأبكيك بالبيض الرقاق وبالقنا فان بها ما يدرك الطالب الوترا

ولست كمن يبكي اخاه بعبرة يعصرها من جفن مقلته عصرا
وانا اناس لا تسيل دموعنا على هالك منا وان قصمت ظهرا

وهذا سيد من اباة العرب يقول :

تأخرت استبقي الحياة فلم اجد لنفسي حياة مثل ان اتقدما
ولست بمبتاع الحياة بذلة ولا مرتق من خشية الموت سلما
ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على اقدامنا تقطر الدما
نفلق هاما من رجال اعزة علينا وان كانوا اعق واظلما

وهذا الشريف ابو الحسن الرضي يقول :

وما اسر بمال لا اعز به ولا الذ برأي فيه تفنيد
ليس الثراء بغير المجد فائدة وما البقاء بغير العز محمود
جرح الحمام ولا جرح الأذى ابداً
والموت عند طروق الضيم مورود

* * * *

وقفت امام الفكرة هذه وانا اتأرجح ذات اليمين وذات الشمال تتقاذفني عوامل الأقدام تارة والاحجام اخرى. وانا اريد الحديث

عن هؤلاء الاعزة الاباة من رافعي الوية الادب واعلامه الخفاقة بالعزة والاباء والشمم . الذين ملأوا انف الزمن والتأريخ عزة وكبيرياء بما خلفوا من تراث ادبي خالد واثر الرجل دليل عليه ولا شك واقواله شاهدة عليه . اذ اللسان كما جاء في نقد النثر ص ١٢ لجعفر بن قدامة البغدادي ـ اللسان ترجمان اللب وبريد القلب والمبين عن الاعتقاد بالصحة او الفساد . وفيه الجمال كما قال تعالى في سورة محمد ـ ولتعرفنهم في لحن القول ـ واستدل صاحب نقد النثر بهذا البيت :

وكائن ترى من معجب لك صامت

زيادته او نقصه في التكلم

وقولة الامام علي (ع) تنبينا ان قول الرجل دليل عليه ـ المرء مخبوء تحت لسانه فاذا تكلم ظهر ـ وسئل بعض الحكماء في كم تعرف الرجل . . ؟! فقال : ان سكت ففي يوم وان نطق ففي ساعة :

لنكتب ما يعن لنا من خواطر عن هؤلاء الادباء . من

اعلام الأدب العربي الذين بيضوا صفحات التأريخ . و الذين ابوا إلا الكرامة مركباً . الذين تنزت عن صدورهم صيحات قارعوا بها الظلم والطغيان . فادوا رسالتهم على الوجه الاكمل وكأحسن ما تؤدى فيه الرسالة . لم تثن عزمهم تضارب الاراء السياسية واختلاف النزعات . وهذه صفة الانسان المتمتع بانسانيته والمعتز برجولته . تسندهم خصوبة الفكر وحصافة الرأي والقيمة البشرية التي هي اكسير الحياة . حيث تبوأه المكان اللائق من صفحات التأريخ . فيقدم لنا اشهى الثمرات واطيب النتائج . وهو الاعتزاز بالادب الصحيح . والانتصار على النفس لنكتب على الفكر يسعفنا لتحقيق هذه الامنية . التي طالما اعتلج بها الفكر واختلجت بها النفس . وضاق بها الخاطر . وعلنا نجيد العوم في هذا البحر الزاخر الدفاق . فنخرج عنه بسلام . لنساير الاعزة وهم بركاب المجد . ونبدأهم بالشريف الرضي الذي وصف ادبه الزكي المبارك . فاجاد الوصف حيث قال في نثره الفني :

فمثل الشريف في نظم شعره . مثل الصيدلي البارع الذي

يحسن تركيب الدواء . فهو شخص مسؤول يركب الدواء بمقادير معينة محدودة . يؤخذ بعضها بالقطارة وبعضها بالميزان وهو يعلم ان الدواء لو نقص منه جزء او زيد عليه جزء لاصبح ضاراً او غير مفيد . ومن الله نستمد المعونة والتوفيق .

المؤلف



الشريف الرضي (١)

لننفض ما تراكم من غبار السنين المواضي فوق اخاديد الزمن الغابر لنرى ما سطر فوق تلك الاخاديد من عبقرية هذا الشريف .. ولنرفع الستر المسدلة فوق من اسمه الشريف الرضي . ! لنامس بيد الطهر و باشداق . حدث هذا الحر الابي ليتفضل علينا بكنوز عبقريته . فنراه رغم هذه السنين المواضي ورغم اطباقة فم التاريخ عليه . لم يعله الصداء ولم تنل من معدنه طوارىء الزمن . بل نراه ينتفض انتفاضة العزة والاباء والشمم ويقول وملء عرنينه فخر :

انا النضار الذي يضن به ان قلبتني يمين منتقد

---

(١) ولد الشريف الرضي سنة ٣٥٩ من الهجرة . كما جاء في مقدمة حقائق التأويل في متشابه التنزيل ص ٢٤ ـ

قد يطوي الزمن بين اخاديده . ويمحو التاريخ من سجله الكثرة من الادب والادباء . ولكنه لن يقو ويتراجع مندحراً ورائده العجز امام من يقول :

فمالي وللايام ارضى بجورها وتعلم اني لا جبان ولا وغد
تغاضى عيون الناس عني مهابة كما تتقي شمس الضحى الاعين الرمد

نعم . لا ولن تقو يد الزمن . ولن تستطيع الصراع مع جبابرة الفكر وطواغيت الادب . الذين روضوا الكلام . وكبحوا الجموح من شوارده لقيادهم . دون ان يخضعوا او يخضعوها لأمير وسلطان :

وهاهم مؤرخون الأدب ونقاده . اجمعوا على اكبار هذا الصرح الادبي العظيم واجلاله . وهذا الزكي المبارك يحدثنا عن عبقرية هذا الشريف فيقول :

— لقد كان الناس في عهد الشريف يتفقهون ليعيشوا اما هو فكان يتفقه ليسود . وكان الناس في عهد الشريف ينظمون الشعر ليحظوا بأعطيات الخلفاء . اما هو فكان ينظم الشعر

ليزلزل الرواسي من عروش الخلفاء —— :

وهذا كبير مشيخة الازهر الشريف المغفور له محمد عبده ينقل الينا في مقدمة النهج ما هذا نصه : ـ وقال فيه بعض واصفيه رحمه الله : كان شاعراً مفلقاً . فصيح النظم ضخم الالفاظ قادراً على القريض . متصرفاً في فنونه . ان قصد الرقة في النسيب اتى بالعجب العجاب وان اراد الفخامة وجزالة الالفاظ في المدح وغيره اتى بما لا يشق له فيه غبار . وان قصد المراثي جاء سابقاً والشعراء منقطعة الانفاس . وكان مع هذا مترسلا . كاتباً بليغاً . متين العبارة . سامي المعاني ـ :

لنقلب صفحات هذا التاريخ الحافل بجلائل الآثار . والملئ باطيب التراث . لنرى ما يقول مدونوا التاريخ والثقاة من نقاده عن ابي الحسن الشريف الرضي محمد . ولنترك الحديث للثعالبي في يتمته ونستمع اليه حين يقول : (١) هو ابو الحسن محمد بن

(١) اليتمة ج ٣ ص ١١٦ —— ١١٧ :

الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن ابراهيم بن موسى بن جعفر ابن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام ومولده ببغداد سنة تسع وخمسين وثلثمائة . وابتدأ يقول الشعر بعد ان جاوز العشر سنين بقليل . . وهو اليوم ابدع ابناء الزمان وانجب سادات العراق . يتحلى مع محتده الشريف ومفخره المنيف . بادب ظاهر . وفضل باهر . وحظ من جميع المحاسن وافر ثم هو اشعر الطالبيين من مضى منهم ومن غبر . على كثرة شعرائهم المفلقين . كالحماني وبن طباطبا وبن الناظر وغيرهم . ولو قلت انه اشعر قريش لم ابعد عن الصدق . وسيشهد بما اجريه من ذكره شاهد عدل من شعره العالي عن القدح الممتنع عن القدح . الذي يجمع الى السلاسة متانة . والى السهولة رصانة ويشتمل على معان يقرب جناها ويبعد مداها . فاما ابوه ابو احمد . فمنظور علوية العراق مع ابي الحسن محمد بن عمر بن يحيى . وكان قديماً يتولى نقابة الطالبيين (١) والحكم فيهم اجمعين .

---

(١) النقابة ــ كما جاء في كتاب ترجمة الشريف الرضي ص ٤٢ : النقابة ويكون صاحبها ذا سلطة واسعة . وهي شبه ــ

والنظر في المظالم (١)

ـ حكومة في ضمن حكومة . لها انظمة خاصة وقوانين استثنائية وجاء بالمصدر نفسه ص ٤٥ — ٤٦ في ذكر الشؤون التي يكلف بها النقيب وهي : ـ ١ ـ الرفق باولاد امه وابيه حيدرة والبتول ـ ٢ ـ كف من استطال بشرفه فمد الى العناد يداً ـ ٣ ـ ازالة البدع التي ينسب اليها اهل الغلو في ولاءهم فيما يوجب الطعن على أباءهم من افتراق ذات البين وجر اقوام الى مصارع البين فالمشيعة عثرات لا تقال فليسد هذا الباب سد لبيب ـ ٤ ـ النكال بمن ادعى الأعتزال او مال الى الزيدية او اقتفى طرق الأمامية فيما ابتدعوه او تمسك من عقائد الباطن بظاهر او تعلق بأئمة السر او انتظر مقيما برضوى او ربط على السرداب فرسه او اشترط العصمة في الامام ـ ٥ ـ النظر في انسابهم نظراً لا يدع مجالا للريب اه وجاء في مقدمة حقائق التأويل للعلامة الجليل الشيخ عبد الحسين الحلي ص ٨٠ ثم عهد اليه بولاية امور الطالبين في جميع البلاد فدعي نقيب النقباء . ويقال ان تلك المرتبة لم يبلغها احد من اهل هذا البيت إلا ان يكون الامام عليا الرضى (ع)

(١) رد المظالم كما جاء في ترجمة الشريف الرضي–

والحج بالنـاس (١) ثم ردت هـذه الاعمـال كلهـا

— للشيخ محمد رضا آل كاشف الغطاء ص ٧٧ قال وسميت ولاية ديوان المظالم . ولا ينالها إلا ذوو الدرجات الرفيعـة والمراتب الشامخة . والانساب العريقة في المجد مع طهارة وجدان ونزاهة وعفة وفقه واسع بجميع احكام الاحوال الشخصية الشرعيـة وقد تولاها الشريف سنة ٣٨٨ ه .

(١) امارة الحج نفس المصدر ص ٥٥ ـ ٥٦ ـ ٥٧ : ان امارة الحج سلطة مطلقة وحكومة سيارة محدودة . يتولاها امير الحج بارادة ملكية على حجاج اقطار معينة . والامير حاكم مطلق في القضاء بين حجاجه . وقطع خصوماتهم وفي حلهم وترحالهم . ودفع الاخطار عنهم . واقامة العدل حسب مشيئته المطلقة فيما بينهم . ومن واجبات امير الحج احاطتهم ورفاهيتهم في المسير ٢ المساوات بين ضعيفهم وقويهم وشريفهم ومشروفهم ـ ٣ ـ منعهم من الزحام والتجاذب وذلك بترتيب قوافلهم ـ ٤ ـ صد اوائل القوافل عن التسرع وحواشيها عن مفارقة المنهج ـ ٥ ـ ان يكون سير الامير على الساقة لئلا ينقطع منقطع اه

الى ولده ابي الحسن هذا . وذلك في سنة ثمانين وثلثمائة
لقد وفق الثعالبي الى حد كبير في ترجمته الشريف الرضي .
حيث اعطانا بحديثه القصير هذا ترجمة كاملة وبسطور قلائل .
قد لا يستطيعها غيره من رواة الأدب ونقاده بصفحات . .
وهذا الخطيب البغدادي يحدثنا في تاريخ بغداد فيقول : —
ان العالم المشهور ابي محفوظ قال : ان الرضي اشعر قريش . قلت
وقريش اشعر العرب . فالسيد الشريف اشعر العرب — :

مقدمتان صحيحتان حسب ما يقول المنطق القديم ايجاب
الصغرى . وكلية الكبرى فيكون الشريف بحكم المنطق اشعر
العرب : . . يلزمنا مناقشة الشكل الذي يسميه المنطقيون بالشكل
الأول . والذي يحدوه بايجاب الصغرى وكلية الكبرى . على ان
يكون الحد الوسط فيه محمولا في الصغرى وموضوعا في الكبرى
مع التسليم بالمقدمتين . . هل يصح بتوفر شروط الشكل الأول
ان يكون الشريف الرضي اشعر العرب . بمن فيهم البحتري
وابو تمام . والمتنبي . وابو العلاء . والفرزدق . وجرير . والأخطل

وابو فراس . وغيرهم كثير من فطاحل الشعر واعلام الأدب . .؟!

لنناقش الشكل . الشكل صحيح بايجاب الصغرى وكلية الكبرى ومحمولية الحد الوسط فيه في الصغرى وموضوعيته في الكبرى . بيد ان التسليم بالمقدمتين غير صحيح . . فيكون الشكل عقيم الأنتاج . اذ لم يكن الشريف اشعر قريش . ولم تكن قريش اشعر العرب . غير ان الشريف في الرعيل الأول من شعراء قريش . وقريش في الرعيل الأول من شعراء العرب فالشريف في طليعة شعراء العرب وليس باشعرهم (١) :

وهذا صاحب تأسيس الشيعة لفنون الأسلام يقول : ــ ان

---

(١) جاء بعمدة الطالب ص ١٨٤ ــ : وهو اشعر قريش . وحسبك ان يكون اشعر قبيلة في اولها مثل الحارث بن هشام وهبيرة بن ابي وهب . وعمر بن ابي ربيعة . وابي دهبل . وفي آخرها مثل محمد بن صالح الحسيني . وعلي بن محمد الحماني . وابن طباطبا . وانما كان اشعر قريش لأن المجيد منهم ليس بمكثر والمكثر ليس بمجيد والرضي جمع بين الأكثار والأجادة اهـ

من مشاهير الشعراء بل سيدهم الشريف الرضي : ـ

ولو اردنا تتبع واستقصاء جميع ما جاء في التأريخ عن عبقرية الشريف . لأحتجنا الى صفحات وصفحات . لا يستوعبها وقت اديب مهني بلي بكثرة العيال وقلة المورد . ولسنا بحاجة لتتبع اقوال المؤرخين وتنقيب صفحات التاريخ . وقد تفجرت فصاحة الشريف الرضي وتدفق ينبوع بلاغته بتراثه الأدبي الخالد — ديوان شعره — وهو منهل من مناهل الأدب العربي سهل المورد وخير دليل لمن يريد الكتابة والحديث عن الشريف الرضي . وانا ان قدمت الشريف الرضي بديوان شعره . فانما اقدم شاعراً عرفته اللغة العربية منذ ازمان وازمان . وعرفه هواة الأدب ورواده منذ قرون . وانا بتقديمي هذا كنا قل التمر الى هجر :

نحن الآن امام لوحة فنية من روائع الفن الخالدة خلود الزمن والتأريخ . وقد اضفت عليها ريشة الفنان ابدع رتوش الفن وطلاوه . واسبغ الفن عليها ابدع روائعه . فاذا ما حلق الشريف

متسامياً في دنيا الادب خرت المعاني امامه صاغرة خاضعـــة . ليختار الجيد الجميل منها ليلبسه جيد الخلود . فيرجع بغنيمة الظافر المنتصر وهي منقادة امام الفكر العربي الجبار . . نحن والديوان امامنا بين نوازع شتى كثيرة من نوازع هذه النفس الكبيرة . نحار من ايها نأخذ ومن اي مواردها نرد . قد يكبو القلم ولا يسعده الجري في هذا الميدان الواسع الارجاء البعيد المـدى . وقد تتخاذل الفكر فلا يسعدها العوم في هـذا البحر الزاخر الدقاق . وحق لها ان تتخاذل امام هذا الخضم العباب . وحقيق بالشفقة والرثاء من يريد الحديث عن اباء وعزة الشريف الرضي الذي يترفع حتى عن صلات ابيه (١) لنرى قول النقاد ومؤرخين

(١) ترجمة الشريف الرضي لسماحة العلامة الشيخ محمد رضا آل كاشف الغطاء ص ١١ : كان عالي الهمة . سمت به عزيمته الى معالي الامور . فلم يجـد من الايام معيناً . وكان عفيفاً لم يقبل من احد صلة ولا جائزة . حتى بلغ من تشدده في العفـة ان رد ما كان جاريا على ابيه من صلات الملوك والامراء واجهد ـ

الادب عن هذه الناحية . التي هي من اهم المقومات لعناصر الادب الرفيع عند الشريف قال المغفور له محمد عبده في مقـدمة النهج

ـبنو بويه على قبول صلاتهم فما استطاعوا :

وجاء بالمصـــدر نفسه ص ١٣١ : ان الشريف الرضي قرأ القرآن وهو شاب حدث على ابي اسحاق ابراهيم احمد بن محمد الطبري الفقيه المالكي . فقال له يوماً ايها الشريف اين مقامك ؟ قال : في دار ابي بباب الحول . . فقال : مثلك لا يقيم بدار ابيه قد نحلتك داري بالكرخ المعروفة بدار البركة . . فامتنع الشريف من قبولها . وقال له : انا لم اقبل بر ابي فكيف اقبل برك . . ؟! فقال : ان حقي عليك اعظم من حق ابيك . لأ ني حفظتك كتاب الله . . فقبلها : اه

وجاء في كتاب الشريف الرضي الدكتور نجيب محفوظ ص ١٠ — وقد ارسل الوزير المهلبي يوماً هدية الى تلامذة الشريف الرضي . فلم يتجاسر احد ان يقبلها احتراماً لعوائد استاذهم اه وجاء بعمدة الطالب ص ١٨٥ ما نصه : الوزير ـ

وكان الشريف عالي الهمة . تسمو به عزيمتـه الى امور عظام .

ـ ابي محمد المهلبي قال : بلغني ذات يوم انه ولد للشريف الرضي غلام . فارسلت له بطبق فيه الف دينار فرده . وقال : قد علم الوزير اني لا اقبل من احد شيئاً . فرددته اليه وقلت : اني انما ارسلته للقوابل . فرده ثانية وقال: قد علم الوزير ان قوابلنا منا فرددته اليه وقلت : يفرقه الشريف على ملازميه من طلاب العلم . فلما جاء الطبق وحوله طلاب العلم قال : ها هم حضور فليأخـذ كل ما يريد . فقام رجل واخذ ديناراً فقرض من جانبه قطعـة وامسكها ورد الدينار الى الطبق . فسأله الشريف عن ذلك . فقال: احتجت الى دهن السراج ليلة ولم يكن الخازن حاضراً . فاقترضت من فلان البقال دهنا . فاخذت هذه القطعة لأدفعها اليه عوض دهنه . . وكان طلبة العلم اللازمون للشريف في دار قد اتخذها لهم سماها ــ دار العلم ــ وعين لهم جميع ما يحتاجون اليه . فلما سمع الشريف ذلك امر في الحال بان يتخذ للخزانة مفاتيح بعدد الطلبة ويدفع الى كل منهم مفتاح ليأخذ ما يحتاج اليه . ولا ــ

لم يجد من الأيام عليها معيناً فوقفت به دونها حتى قضى . وكان عفيفاً متشدداً في العفة بالغاً فيها الى النهاية . لم يقبل من احد صلة ولا جائزة حتى انه رد صلات ابيه . وقد اجتهد بنو بويه في قبول صلاتهم فلم يقبل . وكان يرضى بالاكرام وصيانة الجانب واعزاز الأتباع والاصحاب :

وجاء في العبقرية للزكي المبارك ما هذا نصه : ـ الشريف

ـــ ينتظر خازنا يعطيه . ورد الطبق على هذه الصورة . ا هـ وذكر هذه الرواية صاحب شرح النهج ص ١٣ ج ١ . وذكره ايضاً الدكتور نجيب محفوظ بكتابه الشريف الرضي ص ١٠ . وجاء بكتاب الدكتور محفوظ ص ٦ . ومن ميزات الشريف الاجتماعية انه كان عميد مدرسة كبرى . يعيش تلامذتها على نفقته الخاصة في بناية له تدعى دار العلم . وفيها مكتبة كبرى وهي ثاني مكتبة ببغداد بعد مكتبة هرون الرشيد المسمات ببيت الحكمه . وكان الشريف رئيس مجمع علمي ادبي فلسفي . اعضاؤه من كبار الأدباء وهذه الأعمال يقوم بها الشريف فضلا عن نقابة الاشراف ورآسة ديوان المظالم . . ا هـ .

كان يرى الكفر اهون من الكسب الخسيس فساقه التصون الى الضنك . وهذه نادرة اخرى من نوادر هذا الشريف ترويها معظم كتب الادب والتاريخ : ان استاذاً من اساتذته وهبه داراً يسكنها في اضيق ايام بؤسه فقال الشريف : انا لا اقبل بر ابي فكيف اقبل برك . . ؟ ! فقال استاذه ان حقي عليك اعظم من حق ابيك لاني حفظتك كتاب الله : ورفضه هدية الوزير فخر الملك الالف دينار التي اعطاها القابلة على بشارتها بوليد للشريف . فردها الشريف بلطف قائلا : انا اهل بيت لا يطلع على احوالهن قابلة غريبة . وانما عجائزنا يتولين هذا الامر من نسائنا . ولسن ممن يأخذن اجرة ولا يقبلن هدية : وكيف لا يكون كذلك من يقول ملء فمه . .؟!

رمت المعالي فامتنعن ولم يزل ابداً ينازع عاشقاً معشوق
وصبرت حتى نلتهن ولم اقل ضجراً دواء الفارك التطليق

والذي يقول :

لم يثقف عودي الزمان ولكن صح عود الزمان من تثقيفي

والذي يقال في بنات افكاره ـ تجدع مارن الاشم . فيأن من غير ألم . وبرى وسمها على عاري العظام وهي رمم : ومن غيره جدير بمرثية تلميذه مهيار التي مطلعها :

اقريش لا لفم اراك ولا يد
فتوا كلي غاض الندى وخلا الندي

والتي منها :

وراءك طفلا شيبها وكهولها
فتزحزحوا لك عن مكان السيد

من هؤلاء المتزحزحون له عن مقام السيد .. ? ! هم علية القوم وكبار البلد وساسة البلاط العباسي . . !! . . وليس بدعا اذا ما قال الاقدمون والمحدثون فيه كل هذا .. وليس بدعا ان ننحدر متراجعين يسوقنا العجز والتقصير عن استقصاء كل ما قيل فيه . وما علينا إلا ان نلقي انفسنا وسط ديوانه الحافل بشتى الوان الزهر . لنقدم لك اضمامة ورد . ومن الله نستمد المعونة و التوفيق :

تراه وقد ترفع عما في ايدي الناس . يجابه السلطان ويصفعه بالحقيقة . والحقيقة المرة المؤلمة . التي تؤذيه . وتقض مضجعه وتزلزل رواسي عرشه . وهي نقطة الضعف التي يجدها الشريف عند الخليفة . فيقول :

ردوا تراث محمد ردو   ليس القضيب لكم ولا البرد
هل عرفت فيكم كفاطمة   ام هل لكم كمحمد جد
جل افتخارهم بانهم   عند الخصام مصاقع لد
ان الخلائق والأولى فخروا   بهم علينا قبل او بعد
شرفوا بنا ولجدنا خلقوا   وهم صنائعنا اذا عدو .

مطالبة صريحة بحق صريح . لا يجرأ على المطالبة به ومجابهة السلطان . غير الشريف وذوي النفوس الكبيرة امثال الشريف(١)

---

(١) منن الرحمن لفقيد العلم والأدب العلامة النقدي ج ١ ص ٢٢٩ قيل ان الرضى كان يوما عند الطائع وهو يعبث بلحيته ويرفعها الى انفه . فقال له الطائع اظنك تشم منها رائحة الخلافة قال : بل رائحة النبوة .

وقد يحد من ثورته النفسية في بعض الأحايين . لأمر قد يكون سياسياً . فيضطره ذلك الأمر السياسي الى التنازل عن بعض حقه . حيث يتساوى والسلطان فيقول :

عطفاً امير المؤمنين فاننا   في دوحة العلياء لا نتفرق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت   ابداً كلانا في المعالي معرق
الا الخلافة ميزتك فانني   انا عاطل منها وانت مطوق

فتمتلىء اعطاف الخليفة فخراً وخيلاء . وتأخذه ابهة الملك وزهو السلطان فيقول : وانفك الشريف راغم . فتكون القطيعة بين الخليفة والشريف . وكأني بالشريف وقد ارفض المجلس من حوله راح يستعرض مجده وتالده المجيد فيقول :

المجد يعلم ان المجد من اربي   ولو تماديت في غي وفي لعب
اني لمن معشر ان جمعوا لعلى   تفرقوا عن نبي او وصي نبي

محتد كريم . ومجد تليد . ومفخر لا ينابز . ومن كان هذا منحدره . وهذا محتده الشريف . لابد وان يرى الخلافة دون حقه . ولابد وان تسعى اليه الخلافة منقادة دون ما عناء وجهد

وكيف لا تنازعه نفسه الى منقطع العلى والسؤدد . وهو اصدق قائل :

ما عذر من ضربت به اعراقه   حتى بلغن الى النبي محمد
ان لا يمد الى المكارم باعه   وينال منقطع العلى والسؤدد

وكيف لا يسعى الى مرابض العزة واكمة الأسد . ومعاقل السيادة من يقول :

ولا مشت بي الخيل ان لم اطأ   سرير هذا الأغلب الماجد

طأ بعيسمك السرير سرير الخلافة . فهو دون موطأ قدمك الشريف ابا الحسن . ولكنها غدرة الزمن حالت بينك وبين هذا السرير . ودعتك ان تقف امام من اغتصبك حقك فتقول :

اذا مدحتك لم امنن عليك به   فالمدح باسمك والمعني به نسبي

يكاد يلفظ انفاسه وهو يقول ذلك حيث يقف من الخليفة موقف الشاعر من السلطان . وان كان المدح فيه لنفسه اكثر من الخليفة . بيد ان الموقف يؤذيه ويؤلمه اذ يرى احقيته لأريكة الملك ودست الخلافة من ذلك المتربع على اريكة الملك

ودست الحكم . وما عساه ان يصنع اكثر من هذا وهو اعزل .؟!
وقد استكثر عليه بعض ذوي النفوس المريضة من حساد النبل والشرف رتبة النقابة فقال :

قلق العدو وقد حظيت برتبة تعلو على النظراء والأمثال(١)

---

(١) جاء في عمدة الطالب . وترجمة الشريف الرضي ص ٤٢ ما نصه : وظائفه في الدولة والقابه :الوظائف . .النقابة . رد المظالم امارة الحج . النظر في امور الطالبيين في جميع البلاد . بناية الملك في مدينة السلام . الخلافة على الحرمين . . القابه . الرضي ذو الحسبين الشريف الجليل . الشريف الأجل ذو المنقبتين : لقبه بهاء الدولة سنة ٣٨٨ هـ بالشريف الجليل . و في سنة ٤٠١ امر قوام الدين الملك . ان تكون مكاتبته بعنوان الشريف الأجل مضافا الى مخاطبته بالكنية وفي سنه ٣٩٨ لقبه بهاء الدولة بالرضي ذي الحسبين . وفي سنة ٣٩٢ صدر مرسوم من واسط بتبليغه بذي المنقبتين اهـ . وفي المصدر نفسه ص ١٦٦ جلس القادر بالله سنة ٣٨٢ جلسة اذن فيها للناس عموما . ورسم للشريف الحضور ـ

هل يقف به طموحه عند هذه الرتبة .. ؟! كلا بل يتعداها فيقول :

لو كنت اقنع بالنقابة وحدها لقصصت حين بلغتها املي
حاشا لآمالك الجسام ان تقف عند هذا الحد وحاشا لطموحك

– في ذلك المجلس على رسمه في السواد . وكان اول طالبي جمل عليه السواد وفي ذلك يقول شاكراً :

الآن اعربت الظنون وعلا على الشك اليقين
واضاء لي زمني وايام الفتى بيض وجون
فافيضت الخلع السواد على ترشفها العيون

حقائق التأويل ص ٤٧ : وفي سنة ٣٩٨ لقبه بهاء الدولة وهو بالبصرة بالرضي ذي الحسبين . وجاء في مختصر تأريخ بغداد ص ٦٨ . توفي الشريف الرضي سنة ٤٠٤ وكان عالماً فاضلا وشاعراً مفلقاً وكاتباً بليغاً تولى نقابة الطالبيين والاعمال التي كان يليها ابوه . وهي النظر في المظالم والحج بالناس انتهى وجاء بعمدة الطالب ص١٨٣ ما نصه واما محمد بن ابي احمد بن موسى الابرش –

ان يرضى بدون الخلافة بديلا ولو رضيت بدونها لظننا بك الظنون . ولكنك قلت :

لكن لي نفس تتوق الى التي   ما بعد علاها مقام عالي

وهو بهذا يتحدا حاسديه على رتبة النقابة . اذ النقابة له وفي بيته . وانما يريد ما وراء النقابة فيقول :

ولي النقابة خال امي قبل   ثم ابي وجدي (١)

-فهو الشريف الاجل الملقب بالرضي ذي الحسبين. يكنى ابا الحسن نقيب النقباء . ولي نقابة الطالبيين مراراً وكانت امارة الحج والمظالم اليه وهو اول طالبي جعل عليه السواد .

وجاء بالمصدر نفسه ص ١٨٦ : وكان الرضي يرشح الى الخلافة . كما جاء في ترجمة لشريف الرضي ص ٨٠ وفي سنة ٣٨٨ قلده بهاء الدولة نيابة خلافته بمدينة السلام وخلع عليه خلعا فاخرة.

(١) ترجمة الشريف الرضي ص ٤٨ : ثم وليها احمد العمري نسبة الى عمر الاشرف احد اخوال ام الشريف سنة ٣٦٢ وذلك مدة اعتقال والد الشريف وهي عشرون سنة . اهـ

ومتى وليتها انت ابا الحسن . . ؟!

وولّيتها طفـــلا فهل مجد يعدد مثل مجدي

النقابة لعبة من لعب الشريف في طفولته وصباه . . وتحمله نفسه على الأمر الاشد فيقول :

واظن نفسي سوف تحملني على الامر الاشـــد

وذلك شأن النفوس الكبيرة . وما هذا الامر الاشد التي تحملك نفسك الكبيرة عليه ايها السيد الشريف . . ؟! انها الخلافة ولا شك اذ تقول :

حتى ارى متملكا شرق العلى والغرب وحدي

لك هذا ومن حقك . ومن غيرك ا ولى بهذا الامر منك ؟!

ثم نراه يغضب فيغضب غضبة الليث اهين في عرينه . وهو فوق العشر بقليل . يوم قال فيه الوزير المطهر بن عبدالله وزير عضد الدولة لأبيه حين اعتقل الى كم تدل علينا بالعظام النخرة . . ؟! فتنفجر قريحة الشريف حمما على الماسك لأريكة الحكم ووزيره هذا فيقول :

ينال الفتى من دهره قدر نفسه ... ويأتي على قدر الرجال المكايد

فدى لك يا مجد المعالي وبأسها ... فعال جبان شجعته الحقائد

عزلت ولكن ما عزلت عن الندى ... وجودك في جيد العلى لك شاهد

بوجهك ماء العز في العزل ذائب ... ووجه الذي ولى من الماء جامد

فلا يفرح الاعداء فالعزل معرض ... اذا راح عنه صادر جاء وارد

وطاغ بعير البغي غرب لسانه ... وليس له عن جانب الدين ذائد

شننت عليه الحق حتى رددته ... صموناً وفي انيابه القول راقد

ويعرض بالخليفة فيقول :

يدل بغير الله عضداً وناصراً ... وناصرك الرحمن والمجد عاضد

بعير رب الخير بالي عظامه ... ألا نزهت تلك العظام البوائد

ولكن رأى سب النبي غنيمة ... وما حوله الا مريب وجاحد

ولو كان بين الفاطميين رفرفت ... عليه العوالي والظبا والسواعد

ابعد هذا التعريض تعريض بالخليفة و بطانته . ام وراء هذه الاهانة اهانة ٠ إشارته للخليفة و بطانته اشارة غير العاقل .؟!

وليست هذه الجراءة غريبة عن ابي الحسن الشريف محمد الرضي

او ليس هو القائل وقد ملأ انف الزمن والتأريخ عزة وكبرياء

ما مقامي على الهوان وعندي   مقول صارم وانف حمي
واباء محلق بي عن الضيم   كما راغ طائر وحشي
اي عذر له الى المجد ان ذل   غلام في غمده المشرفي

وهذه جرأة من يستثير الهمم ويلهب العزائم . ويستفز الشاعر الثورة تلهب نارها وتستعر لاخذ ثارات يوم الطف فيقول:

يابني احمد اليكم سناني   غائب عن طعانه ممطول
وجيادي مربوطة والمطايا   ومقامي يروع عنه الدخيل
كم الى كم تعلو الطغام وكم   يحكم في كل فاضل مفضول(١)
واجر القنا لثارات يوم الطف   يستلحق الرعيل الرعيل

---

(١) ودليل فضله آثاره كما جاء في عمدة الطالب ص ١٨٤ ما نصه : آثاره ـ ١ـ نهج البلاغة ـ٢ـ تلخيص البيان عن مجازات القرآن ـ٣ـ المجازات النبوية ـ٤ـ معاني القرآن ـ ٥ـ حقائق التأويل في متشابه التنزيل ـ٦ـ خصائص الائمة ـ ٧ـ كتاب سيرة والده الطاهر ٨ كتاب رسائله ثلاث مجلدات—

ثم ينبه فتيته في عتمة الليل . وفي غسق الدجى . وقبل ان ينم الصباح فيقول :

نبهتهم مثل عوالي الرماح الى الوغى قبل نوم الصباح
فوارس نالوا المنى بالقنا وصافحوا اغراضهم بالصفاح

وذلك شأن الصيد الأشاوس ... ولمن تريد هذه الفتية ايها المقدام .. ؟ !

لغـارة سامع انباءها يغص منها بالزلال القراح

وكيف حال مضرمها اذن ايهـا الشريف .. ؟ ! وعلى من تقع تبعتها . ؟ !

ليس على مضرمها سبة ولا على المجلب منها جناح

ـ ٩ ـ كتاب ما دار بينه وبين اسحق الصابي من الرسائل ـ ١٠ـ مختارات شعر ابي اسحق الصابي ـ ١١ـ كتاب الزيادات في شعر ابى تمام ـ١٢ـ كتاب اخبار قضاة بغداد ـ ١٣ ـ تعليق خلاف الفقهاء ـ١٤ـ تعليق على ايضاح ابى علي الفارسي ـ١٥ـ كتاب الجيد من شعر ابن الحجاج وقد اسماه الحسن من شعر الحسين ـ١٦ـ ديوان شعره ا هـ

او على المجاهد سبة وجناح ٠٠ ؟! وبعد

دونكم فابتدروا غنمها	دمى مباحات ومال مباح

انا اربأ بغضبتك الشريفة عن مثل هذا الانتقام . ولم كل هذا ايها الشريف ٠٠ ؟ ! ألاجل ان تقول :

يانفس من هم الى همة	فليس من عبء الاذى مستراح

قد آن للقلب الذي كده	طول مناجات المنى ان يراح

وانى لقلبك الكبير ان يراح . وثم ماذا ايها الشريف ٠٠ ؟!

لابد ان اركبها صعبة	وقاحة تحت غلام وقاح

ومن اصبر منك على ركوب الصعاب الشداد . ومن غيرك ؟ !

يجهدها او ينثني بالردى	دون الذي قدر او بالنجاح

لك نوازع هذه النفس الكبيرة وعلو هذه الهمة . ولغيرك الراح والراحة ذل الفتى ـ ولك دون غيرك ـ والعز في شرب ضريب اللقاح ـ ومتى تريد هذا العز ايها المقدام ٠٠ ؟ !

في حيث لا حكم لغير القنا	ولا مطاع غير داعي الكفاح

حاكم عدل . وفارس سباق . يرجع والفوز ملء إهابه . وبعد

ماذا تريد ايها السباق ٠٠ ؟!

وإشمعث المعزق ذي همة — طوحه الهم بعيداً فطاح
لما رأى الصبر مضراً به — راح ومن لم يطق الذل راح
دفعاً بصدر السيف لما رأى — ان لا يرد الضيم دفعاً براح

وهذا شأن الغر الميامين من ابناء الطالبيين ٠ وهذا دأبهم وما جبلوا عليه ٠ كل هذا التحقيق امنية في نفس الشريف حيث يقول :

متى ارى الزوراء مرتجة — تمطر بالبيض الظبا او تراح

امنية ما تمناها غيرك ايها الشريف ٠ حيث :

يصيح فيها الموت عن ألسن — من العوالي والمواضي فصاح
متى ارى الأرض وقد زلزلت — بعارض اغبر دامي النواح
متى ارى الناس وقد صبحوا — اوائل اليوم بطعن صراح
يلتفت الهارب في عطفه — مروعاً يرقب وقع الجراح
متى ارى البيض وقد امطرت — سيل دم يغلب سيل البطاح

وهذه اماني من يحمل بين اضلعه ٠ اقدام علي وعزيمة الحسين

لتشخص هـــذه الثورة عن اندحار الباطل . واحقاق الحق . وخذلان كلي .

مضمخ الجيد نؤوم الضحى كأنه العذراء ذات الوشاح
اذا رادح الروع عنت له فر الى ضم الكعاب الرداح

وهؤلاء مثلهم يوم الوغى كرماد اشتدت بها الريح في يوم عاصف . اذ هم :

قوم رضوا بالعجز واستبدلوا بالسيف يدمي غربه كأس راح

وهذا شأن العيش الرضي الناعم . عيش من تخلص من مشكلة خبزه . فراح ينشد الحياة بين وسوسة الكؤوس وعزف الحسان اولئك من :

توارثوا الملك ولو انجبوا لورثوه عن طعان الرماح
غطى رداء العز عوراتهم فافتضحوا بالذل اي افتضاح

وكم غطى رداء العزمن عورات وعورات . عورات الكثيرين من ابناء الترف والنعيم . الذي هم واياك على حد قولك :

اني والشاتم عرضي كمن روع اساد الشرى بالنباح

.. وما تضيرك نبح هذه وانت كما تقول .. ؟! :

يطلب شأوي وهو مستيقن ان عناني في يمين الجماح
فارم بعينك ملياً ترى وقع غباري في عيون الطلاح

انى لذلك الأعجف الهزيل اللحاق بالاصيل الجموح :

وارق على ضلعك هيهات ان يزعزع الطود بمر الرياح

وانى لهذا الأضلع زعزعه الطود الأشم بريحه العليل ... ؟!

واخيراً ماذا الخاتمة مطافك ايها الشريف . وماذا يهمك .. ؟!

لا هم قلبي بركوب العلى يوما ولا بل يدي بالسماح
ان لم انلها باشتراط كما شئت على بيض الظبا واقتراح

ولكنك ارتطمت بصخرة الواقع المرير . فتحطمت امالك الجسام هذه . فقلت مستسلماً لليأس :

.. سيسكتني يأسي وفي الصدر حاجة
كما انطقتني في الرجال المطامع

لله ما انطوى عليه صدرك . وما ضمته جوانحك من امر عظيم جلل ..

صورة اخرى

وهذه صورة اخرى من صور هـذا المرض المليء باتحف صور الفخر . وهو في معرض الفخر هـذا كثيره من المعارض الأدبية الأخرى لا يجارى . ويفوز بالأولوية ويأخذ الكأس مترعة بالسبق . وانه ليكاد يملأ خياشيم الأجيال المتعاقبـة من بني الأنسان عزة وخيلاء بما يعرضـه علينا من صور الفخر . وها نحن نقتطف لك ابياتاً من قصيدة ، ونحن اذ نقتطف لك هذه الأبيات من هذه الخريدة العصماء . فانما نقتطف زهرات من روض اغن فواح العبير . لا لأفضلية ما نريد تقديمه اليك . وانما نتوخى بقطفنا هذا الايجاز والأختصار ليس غير . اسمعه ينشدنا في معرض الفخر هذا فيقول :

لغـــير العلى مني القـلى والتجنب

ولولا العلى ما كنت في الحب ارغب .

يكاد القلم يفقد جريه ويظل صوابه . ويسير على غـــير هدى وهو يمر بهذا البيت . أرأيتم ام سمعتم بانبل واشرف من

هذا الحب . الحب الشريف . . ؟! ألا تقف مأخوذاً بروعة البيان تعقلك دهشة السحر الحلال وانت تقرأ . . ؟! :

ملكت بحلمي فرصة ما استرقها ... من الدهر مفتول الذراعين اغلب
فان تك سني ما تطاول باعها ... فلي من وراء المجد قلب مدرب
فحسبي اني في الأعادي مبغض ... واني الى غر المعالي محبب
وللحلم اوقات وللجهل مثلها ... ولكن اوقاتي الى الحلم اقرب
يصول علي الجاهلون واعتلي ... ويعجم في القائلون واعرب
يرون احتمالي غصة ويزيدهم ... لواعج ضغني انني لست اغضب
واعرض عن كأس النديم كأنها ... وميض غمام غائر المزن خلب
وقور فلا الالحان تأسر عزمتي ... ولا تمكر الصهباء بي حين اشرب
ولا اعرف الفحشاء إلا بوجهها ... ولا انطق العوراء والقلب مغضب
تحلم عن كر القوارص شيمتي ... كأن معيد الذم بالمدح مطنب
لساني حصاة يقرع الجهل بالحجى ... اذا نال مني العاضه المتوثب
ولست براض ان تمس عزائمي ... فضالات ما يعطي الزمان ويسلب
غرائب آداب حباني بحفظها ... زماني وصرف الدهر نعم المؤدب

كيف وجدت نفسك بعد هذه الجولة القصيرة . في ربوع هذا الروض الاغن . ؟ لا شك وانك عل بروعة البيان ومتانة الاسلوب وبعد الهمة و رقة الديباجة و صقل الالفاظ . الى غير ذلك من نعوت يقصر عنها الوصف . و تتخاذل امامها الفكر .

اريد ان اسمو بك الى مصاف الشريف عند ما اقرأ عليك قوله :

دعوا اشرف الأحساب يا آل ظالم ... فلا الماء مورود ولا الترب طيب
لئن كنتم في آل فهر كواكباً ... اذا غاض منها كوكب فاض كوكب
فمتي كنت البدر يذهب بينكم ... جهاراً وما كل الكواكب تذهب
اهذب في مدح اللئام خواطري ... فاصدق في حسن المعاني واكذب
وما المدح الا في النبي وآله ... يرام وبعض القول ما يتجنب
واولي بمدحي من اعز بفخره ... ولا يشكر النعماء إلا المهذب
ارى الشعر فيهم باقياً وكأنما ... تحلق بالاشعار عنقاء مغرب
وقالوا عجيب عجب مثلي بنفسه ... واين على الايام مثل ابي اب
لعمرك ما اعجبت إلا بمدحهم ... ويحسب اني بالقصائد معجب

وينتهي به مطاف فخره حيث يبلغ منتهى الفخر فيقول :

اعد لفخري في المقام محمداً   وادعو علياً للعلى حين اركب

لقد جمع العلى في اعطاف الشريف فانتفخت اوداجه فخراً

حيث انتهى به فخره معدن الفخر محمد وعلي . اين من يقول ان

افخر بيت قالته العرب هو . . ؟!

اذا غضبت عليك بنو تميم   حسبت الناس كلهم غضابا

اين هذا البيت من و . ؟!

واعد لفخري في المقام محمداً   وادعو علياً للعلى حين اركب

اين هذا من ذاك واين الحكم العدل لينصف الادب من

حكامه الجائرين . ؟! :

وهذه ثمرة اخرى من ثمرات عقله الجبار . يعرض علينا

في معرض الهجاء . وهي كما وصفها الاقدمون ـ تجدع مارن

الاشم . الخ ـ

قوله معرضاً باصحاب الجاه والنفوذ . وكيف لا يقول ملء

فمه . وهو من لم تحدثه نفسه يوما ما ان يطرق ابواب المسؤولين

بقضاء حاجة وسد عوز فما يمنعه ان يقول :

لعل الدهر امضى منك غربا ... واقوى في الامور يداً وقلبا
ومقلته اذا لحظت حسامي ... تفضي مهابة وتفيض رعبا
فكيف وانت اعمى عن مقالي ... ولو عاينته لرأيته شهبا
عذرتك انت اردى الناس اصلا ... واخبث منصباً واذل جنبا
وانت اقل في عيني من ان ... اروعك او اشن عليك حربا
فانك ان هجوت هجوت ليثاً ... واني ان هجوت هجوت كلبا

ألا يتضاءل جرير بعظمته في الهجاء امام قولة الشريف هذه . ؟! فانك ان هجوت هجوت ليثاً . واني ان هجوت هجوت كلباً .. او ليس هذا اهجا بيت قالته العرب في الهجاء واكثر وقعاً من :

وغض الطرف انك من نمير ... فلا كعباً بلغت ولا كلابا

أفي هذا البيت ما في بيت الشريف ؟! حيث اخلص المدح لنفسه في الشطر الاول من البيت وبلغ في شطره الثاني الحضيض بالمهجو . او ليس هذا البيت ابلغ بيت قالته العرب وابلغ من .؟!

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

لسقط اللوى بين الدخول فحومل

هـــذا البيت الذي طبل له النقاد وزمروا . لأنه وقف واستوقف وبكى واستبكى . أفي البيت أكثر من هذا . افيه ذلك المعنى الدقيق الذي توصل اليه الشريف . . ؟! . اللهم لا . ابلغ جرير في الهجاء مدى ما بلغه الشريف ببيتيه التاليين .؟! :

ولاحت لنا ابيات آل محرق بها القوم لا يروح ولا يغدو

خيام قصيرات العماد كأنها كلاب على الاوتاد مقعمة ربد

اطرافة من الشريف يقتعض بمدها ليسمع الحقب سبة من يريد سبه وهجوه . مشوبة بالفخر بنفسه . وها هي الاجيال تردد قولة الشريف :

وان مقام مثلي في الاعادي مقام البدر تنبحه الكلاب

رموني بالعيوب ملفقات وقد علموا باني لا اعاب

واني لا تدنسني المخازي واني لا يروعني السباب

ولما لم يلاقوا في عيباً كسوني من عيوبهم وعابوا

ولو تتبعنا ما عند الشريف من قوارص القول ولواذع الكلم لاحتجنا الى كثير وقت وكبير عناء . ولم تواتنا نجمة القلم وومضة الفكر بغير النزر القليل من عبقرية هذا الشريف في هذا الباب :

لنفتح صفحة اخرى من صفحات هذا السجل الخالد . لنقرأ قطع قلبه وهو ينتزعها في رثاء صديقه ابي اسحاق الصابي حين يقول :

أرأيت من حملوا على الاعواد أرأيت كيف خبا ضياء النادي(١)
جبل هوى لو خر في البحر اغتدى من وقعه متتابع الأزباد
ما كنت اعلم قبل حطك في الثرى ان الثرى يعلو على الأطواد

---

(١) الشريف الرضي للدكتور نجيب محفوظ قال : لما قال مرثيته هذه في ابي اسحاق . استاء الشريف المرتضى فقال : ـ ما حملوا الا كلباً اسوداً ـ وما نقلت هذه العبارة للشريف الرضي حتى غضب على اخيه الاكبر مدة طويلة وعاداه . رغم محبته الشديدة له قائلا : ـ انما رثيت فضله لا دينه ـ . وكان ابو اسحاق يصوم شهر رمضان ويحفظ القرآن مواساتاً للشريف.

ألا تقف بك روعة هذا الاستفهام · وانت مأخوذ بهيبة المحمول وجلاله . . ؟! ألا تستفزك عتمة النادي بعد غيبة ابي اسحاق . . ؟! اعيذ الذوق الادبي ان لم تقف بك روعة هذا الاستفهام . ويأخذك جلال هذا الاستفزاز · لتعلم ان المحمول رجل لا كالرجال . وانما هو طود الفضائل خر من عليائه ليعلوه الثرى . . وثم ماذا ايها الشريف . . ؟! وثم !

بعداً ليومك في الزمان فانه ‏ اقذى العيون وفت في الاعضاد

لا ينفذ الدمع الذي يبكي به ‏ ان القلوب له من الامداد

كيف انمحى ذاك الجناب وعطلت ‏ تلك الفجاج وضل ذاك الهادي

طاحت بتلك المكرمات طوائح ‏ وعدت على ذاك الجواد عوادي

قادوا اطاع وقيد في وشطى الردى ‏ ايدي المنون ملكت اي قياد

من مصعب لو لم يقده آلهه ‏ بقضاءه ما كان بالمنقاد

اعزز علي بأن يفارق ناظري ‏ لمعان ذاك الكوكب الوقاد

ألا تلمس صلة الروح ووشيجة القلب . بتلك العواطف المنسكبة بين الراثي والمرثي . . ؟ لا شك وانك لمستها بوضوح

وجلاء : ثم يغرق في هذه الصلة ويقوى الوشيجة بينهما حتى لتظن ان المرثي اخوه المرتضى وليس الصابي . عندما يقول :

عمري لقد اغمدت منك مهندا | في الترب كان ممزق الاغماد
قد كنت اهوى ان اشاطرك الردى | لكن اراد الله غير مرادي
ولقد كبا طرف الرقاد بناظري | اسفاً عليــــك فلا لعاً لرقاد
ثكلتك ارض لم تلد لك ثانياً | انى ومثلك معوز الميــلاد
ان الدموع عليك غير بخيلة | والقلب بالسلوان غير جواد
سودت ما بين الفضاء وناظري | وغسلت من عيني كل سواد
ري الخدود من المدامع شاهد | ان القلوب من الغليل صواد

ألا يذهب بك الظن وانت تمر بهـذه الابيات . ان المرثي علم الهدى اخوه المرتضى .. ؟! :

ثم يذهب به وفاؤه الى ابعد من ذلك . حتى لتحسب ان المرثي اخطب العرب واكرم من نطق بالضاد واشجع فتيان يعرب حين يقول :

ما كنت اخشى ان تضن بلفظة | لتقوم بعدك لي مقام الزاد

ماذا الذي منع الفنيق هديره   من بعد صولته على الاذواد
ماذا الذي حبس الجواد عن المدى   من بعد سبقتـه الى الاماد
ماذا الذي فجع الهمام بوثبـــة   وعدا على دمه وكان العادى
لقضى لسانك مذ ذوت ثمراته   ان لا دوام لنضرة الاعواد
بقيت اعيجاز يضل تبيهها   ومضت هواد الرجال هواد
الى ان يقول :
ويقول من لم يدر كنهك انهم   نقصوا به عدداً من الاعداد
هيهات ادرج بين برديك الردى   رجل الرجال واوحد الاحاد
لا تطلبي يانفس خلا بعده   فلمثـــله اعيــا على المرتاد
فقدت ملاءمة الشكول بفقده   وبقيت بين تباين الاضداد
ما مطعم الدنيا بحلو بعـده   ابداً ولا ماء الحيـــا ببراد

ثم يكتسح الفوارق والحدود الطبقية . وهو نقيب الطالبين وامير الحج والصدقات ليصل بينه وبين المرثي بوشيجـة ما من الوشائج . اجابة لداعي الوفاء والصداقة اللتان ترتكز عليها اسس نفسيته الرفيعة فيقول :

الفضل ناسب بيننا ان لم يكن شرفي مناسبه ولا ميلادي
ان لم تكن من اسرتي وعشيرتي فلأنت اعلقهم يداً بودادي
ان لم يكن وافى الاصول فقد وفى
شرف الجدود بسؤدد الاجـداد
لا در دري ان مطلتك ذمة في باطن متغيب او باد
ان الوفاء كما اقترحت فلو تكن حياً اذن ما كنت بالمرداد

ومنها يقول :

لك في الحشا قبر وان لم تأوه ومن الدموع روائح وغوادي
سلوا من الابراد جسمك وانثنى جسمي يسل عليك في الابراد
فاذهب كما ذهب الربيع واثره باق بكل خمـائل ونجاد
صفح الثرى عن حر وجهك انه مغرى بطي محاسن الامجـاد
وتماسكت تلك البنان فطالما عبث البلى بانامل الاجواد
وسقاك فضلك انه اروى حيا من روائح متعرس او غاد
حدث على ان لا نبات بأرضه وقفت عليـه مطالب الرواد

لم تكن هذه القصيدة قبسة العجلان . ونهلة الظمآن . ونفثة

الصدور نفثها في سورة حزنه وعند وقع المصاب عليه ولم تكن جدة المصيبة اوحت اليه بهذه الخريدة العصماء . بل نراه بعد تقادم الزمن على وفاة ابي اسحاق الصابي · وبعد اطباقة ثم الارض عليه بسنين · يمر الشريف بقبره ويعطره شذا بيب بيانه · وقد امحى الصابي من ذاكرة خلص اصحابه · ونسيه اقرب الناس اليه من عشيرة وبنون . نراه رغم هذا كله يجدد عهده فيه · فيبكيه ويندبه ندبة الثاكل الولهان · يندبه وكأن الجرح لم يندمل بعد · يندبه وفي العين بقية من وشل (١)

---

(١) علاقة الشريف بالصابي واسباب المودة بينهما كما جاء في ترجمة الشريف الرضي ص ٦٩ : ـ١ـ مودة الصابي لوالد الشريف التي نشأ عليها الشريف ـ٢ـ علائق الصابي مع بختيار وصلات الشريف ببختيار ـ٣ـ الأدب وهو لحمة كلحمة النسب ـ٤ـ ان فحولة الشريف وكفاءته وكرامته ولدت في نفس الصابي عقيدة فوز الشريف في محاولته الخطيرة وبهذا الفوز ضمان المستقبل ـ٥ـ خبرة الصابي وتجاربه رغبت الشريف ان يحصر اعتماده —

لنشارك الشريف حزنه فانه يلذ لي مشاركة الشريف حزنه

حين ينشدنا قصيده هذا فيقول :

ايعــلم قبر بالجنينـة اننا اقمنا به ننعى الندى والمعاليا

مررنا به فاستشرفتنا رسومــه

كما استشرف الأرض الظباء الجوازيا

وماذا بعد ان استشرفتك رسومه ايها الوفي الكريم .. ؟!

وما لاح ذاك الترب حتى تحلبت من الدمع اوشال ملأن الاماقيا

نزلنا اليــه عن ظهور جيادنا

نكفكف بالايدي الدموع الجواريا

ولما تجاهشنا البكاء ولم نطق عن الوجد اقلاعا عذرنا البواكيا

ثم يقول : ليشبع رغبته من البكاء . فيستنزل الركب ليبكي

معه المجد الذاوي :

اقول لركب رائحين تعرجوا اريكم به فرعاً من المجد ذاويا

— على ذلك الشيخ المجرب ـ٦ـ اتفاقهما على مقت العاهل العباسي

ورئيس الدولة ا هـ

الموا عليـــه عاقرين فاننا اذا لم نجد عقراً عقرنا القوافيا
وقفنا فارخصنا الدموع وربما تكون على سوم الغرام غواليا

ثم يستطلع القبر بلهفة المشوق ومن تقاوم به العهد عن معالم من ضم فيقول :

الا ايها القبر الذي ضم لحده قضيباً على هام النوائب ماضيا
هل ابن هلال منذ اودى كعهدنا هلالا على ضوء المطالع باقيا
وتلك البنان المورقات من الندى نواضب ماء ام بواق كما هيا
وما كنت آبى طول لبث بقبره لو اني اذا استعديته كان عاديا

وبعد ان انكشفت الحجب بينهما وتناجت الأرواح . راح يبثه لواعج شوقه فيقول :

خلا بعدك الوادي الذي كنت انسه واصبح تعروه النوائب واديا
اراحت علينا ثلة الوجد ترتقي ضمائرنا ايامها والليــاليا
رضيت بحكم الدهر فيك ضرورة ومن ذا الذي يغدو بما ساء راضيا
وطاوعت من رام انتزاعك من يدي
ولو اجد الاعوان اصبحت عاصيا

وطامنت كيما يعبر الخطب جانبي   فالقى على ظهري وجز زمانيا
رثيتك كي اسلوك فازددت لوعه   لأن المراثي لا تسد المرازيا
واعلم ان ليس البكاء بنافع   عليك ولكني امني الأمانيا

ولم تكن هذه القصيدة ايضاً آخر سهم رماه الشريف بجعبته بل هناك قصيدة اخرى لم املك عند قراءتها حبس عبراتي · قالها بعد مرور تسع سنين على وفاة ابي اسحاق . وقد مر بقبره فهاجته الذكريات . ذكريات ايامه الخوالي · ايام كانا فيها يتناجيان السرار . ويبث كل منهما ذات صدره من هم وهمة لصاحبه . ويجد كل منهما عند صاحبه آماله وامانيه بخلوة عن الرقباء والفضوليين . كل هذا يتذكره الشريف بمروره بقبر ذلك الخدن الوفي الأمين · فيبثه شوقه ويفضي اليه بذات صدره وينشده عبث الهجران فيه · كل ذلك نجده بقصيده هذا :

لولا يذم الركب عندك موقفي   حييت قبرك يا با اسحاق
كيف اشتياقك مذ نأيت الى اخ   قلق الضمير اليك بالأشواق
هل تذكر الزمن الأنيق وعيشنا   يحلو على متأمل ومذاق

وليالي الصبوات وهي قصار خطف الوميض بعارض مبراق
لابد للقرباء ان يتزايلوا يوماً بعذر قلىً وعذر فراق
امضي وتعطفني اليك نوازع نتنفس كتنفس العشاق
واذود من عيني الدموع ولوخلت لجرت عليك بوابل غيداق
ولو ان في طرفي قذاة من ثرى واراك ما قذيتها من ماق
ان تمضي فالمجد المرجب خالد او تفنى فالكلم العظام بواق

الآن وبعد ان ارمضنا الحزن واستشفنا الجزع وقضينا مع الرضي ساعات حزن طوال . لابد وان نقضي مثلها ساعات معطرة بشذى الحب ومضمخة برشح اريج الجمال . ساعات يشيع في جوها الحب باشكاله والوانه وصوره .. يشيع فيها الحب بانتصاره وظفره . الحب بخيبته وخذلانه . الحب بطيشه وغروره . الحب بجلاله ووقاره . الحب بصفاءه وطهارته . الحب بفسقه وفجوره الحب بخوفه ووجله . الحب بجرأته واقدامه .. ويبشر به محب ظافر منتصر . وعاشق فاشل مخذول . يبشر بحنكة المدرب الذي خاض غمار الحب وعرف مجاهله . ممزوجة بالشرف والفضيلة

والعفاف . لم يدنس ذلك المبشر برذيلة او دنيئة . ولم تمسه الموبقات والرذائل بادرانها . وكل هذا نجده متجمعاً بشخصية العف الشريف ابي الحسن محمد الرضي . اذ هو المحب الظافر المنتصر وهو المحب والعاشق المخذول . وهو الصب المرح المغرور . وهو الواله الجليل الوقور . وهو المتيم العف الفاضل الشريف . . وكيف لا تتجمع هذه المتناقضات بشخص من غذي الجمال من ثدي فينوس . وتدرج في الحب من احضان كيوبيد . ومن غذته وعنيت به آلهة الحب والجمال قليل في ان يحرق نفسه في مجمرة الحب ويذروه فوق مهد الجمال . ولا بدع اذا ما تجمعت هذه المتناقضات في مثل هذه الشخصية المثالية . اذ بلغ في حبه الشريف ذروة النصر وقمة المجد . وها هو الشريف يقف بمحراب الجمال . امام هيكل الحب المقدس . ليقدم اطروحته في حبه الظافر المنتصر وعنوان اطروحته هذه :

— ضجيج التقوى —

اقول للائم المهدي ملامته ذق الهوى وان اسطعت الملام لم

وظبية من ظباء الأنس عاطلة تستوقف العين بين الخمص والهضم
لو انها بفناء البيت سارحة لصدتها وابتدعت الصيد في الحرم

وبعد ماذا ايها الصياد الذي لم يطش سهمه . . وبعد ؟!

قدرت منها بلا رقبى ولا حذر على الذي نام عن ليلي ولم انم
بتنا ضجيعين في ثوبي هوى وتقى يلفنا الشوق من قرن الى قدم
وامست الريح كالغيرى تجاذبنا
على الكثيب فضول الريط واللحم

وهل نامت عنكم اعين الوشاة وانتما في مثل هذه الضجعة ايها الشريف . ؟! . . لا بل عين الواشي يقظة حذرة :

يشي بنا الطيب احياناً وآونة يضيئنا البرق مجتازاً على اخم
وبات بارق ذاك الثغر يوضح لي مواقع اللثم في داج من الظلم

ها هي اللذة تستصرخك لتشرب الكاس مترعة من الحب .

فما يمنعك ان تشرب الكاس حتى الثمالة ايها الشريف . . ؟! :

وبيننا عفة بايعتها بيدي على الوفاء بها والرعي للذمم
يولع الطل بردينا وقد نسمت رويحة الفجر بين الضال والسلم

واكتم الصبح عنها وهي غافلة حتى تكلم عصفور على علم
فقمت انفض برداً ما تعلقه غير العفاف وراء الغيب والكرم

وهو في حبه هذا . يضرب لنا مثلا من مثله العليا في الحب العذري الطاهر الشريف ... إلا يخضع صاغراً كل مدعي العفة في الهوى والعذرية في الحب . امام قولة الشريف في عفته بهواه وعذريته في حبه حين يقول في :

— حديث المضاجع —

وقفت بربع العامرية وقفة فعز اشتياقي والدموع خواضع
وكم ليلة بتنا على غير ريبة علينـا عيون للنهى ومسامع
نقضي حديثاً عن ختام مودة معاقلها احشاؤنا والأضالع
يكاد غراب الليل عند حديثنا يطير ارتياحاً وهو في الوكر واقع
خلونا فكانت عفة لا تعفف وقد رفعت في الحي عنا الموانع
سلوا مضجعي عني وعنها فاننا رضينا بما يخبرن عنا المضاجع

وكيف لا يكون كذلك وقد انصهرت نفسه ببودقة الحب الطاهر الشريف . فسما به حبه حيث الطهر والفضيلة . وحيث

معاقل العفة والنبل والشرف . وترفع عن كل رذيلة و دنية وانه ليتوغل في عفته وطهارته حتى ليجعل السيف بينـه وبين من يضاجع . . وها هو يحدثنا عن ضجيعه هذا فيقول عنوان قوله:

— سيف العفة —

تضاجعني الحسناء والسيف دونها ضجيعان لي والسيف ادناهما مني
اذا دنت البيضاء مني لحاجة ابى الأبيض الماضي وما طاعني
وان نام في الجفن انسان ناظر تيقظ ناظر ناظر لي في الجفن
اغرة فتاة الحي مما الفتـه اغلقاه دون الشعار من الضن
وقالت هبوه ليلة الخوق ضمه فما عذره في ضمه ليلة الأمن

لنسر مع الشريف في حبه العذري هـذا . ونسمعه وهو ينشدنا :

— زجر العفاف له —

يقولون مشغوف الفؤاد مروع ومشغوفة تدعو به فيجيب
وما علموا انا الى غير ريبـة بقاء الليالي نغتدي ونؤوب
عفا في من دون التقية زاجر وصونك من دون الرقيب رقيب

عشقت ومالي يعلم الله حاجة سوى نظري والعاشقون ضروب
ومالي يالمياء بالشعر طـــائل سوى ان اشعاري عليك نسيب
احبك حباً لو جزيت ببعضه اطاعك مني قائد وجنيب
وفي القلب داء في يديك دواءه ألا رب داء لا يراه طبيب
سرى لك من اوطانه كل عارض تضاحك فيه البرق وهو قطوب
ولا زال خفاق النسيم مرفرقاً عليـك وانواء الغمام تصوب

هذا وقد سايرنا الشريف في حبه العف الطاهر العـذري . وهو في اوج انتصاره في الحب . وقد رضخنا صـاغرين بحـكم آلهة الحب والجمال . لطهارة حب الشريف وعذريته بما مر علينا في نصره المبين :

لنساير ركب الشريف وهو في وهدة الخذلان وهوة الفشل وقد رمته الأعين النجل واجهزت عليه سمهريات القدود . فتركته نضو هوى يقرع سن الندم على ايام وليال حلوة مضت . ليرينا نوعا آخر من انواع ادبه البكر . وقد تطرق فيه لقـدسية الحب المخذول . ومصرع المحب الشهيد . واريحيـة العاشق الصريع .

وهو يتغنى بمجد حبه الذبيح . تمازجه عواطف جياشة نحو ذلك السفاح . الذي اطل دمه بوادي حبـه المقدس . لنسمع انشودة الحب الخالد من فم محب محتضر . تتنازعه حشرجة الموت ولذة الحياة . ها هو لحن البلبلة ينبعث من حنجرة الشريف المحتضر يرجمه على :

— الوتر الذبيح —

اصبت بعيني من اصاب بعينه فؤادي ولم يعقل دمي يوم طله
لقد ثأرت عيني بقلبي ولم يكن حلالاً من مهجتي ما استحله
فهلا بعينيه وان طلتـا دمي فكم مالك لم يرزق العبد عدله
وبعد لعيني لم اصاينه بالأذى وألا تلقت واقع السوء قبـله
فياظالماً تستمرء النفس ظلمه ويا قاتلا يستعذب القلب قتله
ليهنك ان النفس تمنحك الهوى جميعاً وان القلب عندك كله

كيف وجدت نفسك ياسيدي . وانت تقرأ هذه المقطوعـة التي تصور لك ارق العواطف واسمى الشعور والأحاسيس من مقتول يرحب بقاتله ويستعذب قتله . . ؟ وقد تسمو به عواطفه

الى ابعد من ذلك . وقد تخلف عن ركب من يحب . ونأت به الدار فيزف :

--- رسالة الشوق ---

ايها الرائح المغـذ تحمل حاجـة للمتيم المشتاق
اقر عني السلام اهل المصلى فبلاغ السلام بعض التلاق
واذا ما مررت بالخيف فاشهد ان قلبي اليه بالأشواق
واذا ما سئلت عني فقـل نضو هوى ماأظنه اليوم باق
ضاع قلبي فانشـده بين جمع ومنى عند بعض تلك الحداق
وابك عني فطالما كنت من قبل اعير الدموع للعشاق

ألا تسمع حشرجة الأحتضار من المحب المحتضر وهو يبعث برسالته هذه . او لا تشغق وانت تمر بهذه الأبيات . . ؟ :

لنقف حيث يستمع السرار ويسترق الحـديث . لنرى ذلة هذا الشريف الأبي العزيز الذي ملء انف الزمن والتـأريخ عزة وكبرياء . ونسمع شكوى الخضوع وعتـاب المستكين باسلوب ترفع ان يطرق به ابواب الخلفاء من بني العباس والسلاطين من

آل بويه · فمنحه من احب دون ما اجر وثواب · وقـد وقف موقف الواله الذليل · الذي اذله الحب واخضعه الهوى · يحسب انه في مأمن من مسترق السمع وراصـدي اقوال المحبين ·· لنشي به اليك · ونبثك لواعجه وقد اختلى بمن احب يضرع اليه :

— بذلة وخضوع —

ياصاحب القلب الصحيح اما اشتفى ألم الجوى من قلبي المصدوع
اسأت بالمشتاق حين ملكته وجزيت فرط نزاعـه بنزوع
هيهات لا تتكلفن لي الهوى فضح التطبع شيمة المطبوع
كم قد نصبت لك الحبائل طامعاً فنجوت بعد تعرض لوقوع
وتركتني ظمآن اشرب غلتي اسفاً على ذاك اللمى الممنوع
قلبي وطرفي منك هذا في حمى قيض وهـذا في رياض ربيع
كم ليلة جرعته في طولها مضض المـلام ومؤلم التقريع
ابكي ويبسم والدجى ما بيننا حتى اضاء بثغره ودموعي
تغلي انامله التراب تعللا وانامل في سني المقروع
قمر اذا استخجلته بعتـابه لبس الغروب ولم يعد لطلوع

لو حيث يستمع السرار وقفتما لعجبتما من عزه وخضوعي
ابغي هواه بشافع من غيره شر الهوى ما نلتــه بشفيع
ما كان إلا قبلة التسليم اردفها الفراق بضمة التوديع
كمدي قديم في هواك وانما تاريخ وصلك كان مذ اسبوع
اهون عليك اذا امتلئت من الكرى اني ابيت بليــلة الملسوع
قد كنت اجزيك الصدود بمثله او ان قلبك كان بين ضلوعي

ذلة ما عهدناها في الشريف . ولم يعودنا عليها ابو الحسن الرضي . وهو الذي تعنوه الخلفاء وترجوه السلاطين . ولكنه الحب مذل الجبابرة وقاهر الاعزة ومخضع اطواد الرجال لسلطانه القاهر . وهاهو الشريف يقف مرة اخرى ليعفر جبهته بتراب حبه المقدس من اعتاب هذا الآله الجبار . ونحن بدورنا نأخذ من بقايا هذا التراب لنعطر به هذا الحديث ولننشد مع الشريف انشودته:

— الهيكل المقدس —

احن الى لقائك كل يوم واسأل عن ايابك كل وقت
واذكر واما مضى فيفيض صبري وتنفر عبرتي ويبوح صمتي
ولي قلب اذا ذكر التلاقي تظلم من يد البين المشت

ثم ماذا ايها الشريف . . ؟! . . ثم شكوى وعتاب . وفي العتاب لذة يستطيبها العاشقون ويلذها المحبون .. ولا يحس هذه اللذة ولا يلمس نعمة العتاب الخلي من الهوى والطليق من الحب - وهل يلتذ بالورد صاحب الزكمة - . . وها هو ذو الشعور المرهف الحساس . يتأرجح بارجوحة هذه اللذة فيقول :

ايا شاكيا مني لذنب جنيته فديتك من شاك الي حبيب
لئن راب مني ما يريب فانني على عدواء الدهر غير مريب
واني لأرعى منك والغيب بيننا هوى قلما يرعى بظهر مغيب
فهب لي ذنباً واحداً كان قلته فما زلل من حازم بعجيب
فيا حسن حال الود ما دمت مذنباً اتوب وما دمت تعد ذنوبي

اترى كيف خلص بعتابه وشكواه من القطيعة . وكيف قد حسنت حاله وصفا له الود بعد القطيعة والكدر . ؟! . كل هذا يصوره لنا الشريف المحب الظافر المنتصر . بريشة النصر والظفر . و بريشة الفن الفاشل المخذول . كل هـذا يصوره الشريف بالضرب على اوتار قلبه الحساس . فينبعث لحناً يتغنى

به المحب الظافر المنتصر . وينوح به العاشق الفاشل المخذول :

— ازهار متفرقة —

لنأخذ من كل حديقة زهرة . ومن كل روض وردة . لنجمع اضمامة ورد فواحه العبير . ضمخة الشذى . تعطر ما يحيطنا من اجواء عفنة نتنة تزكم الانوف . وفي ما نقدمه اليك من ادب الشريف المختلف غذاء دسم للعقول ومتعة ملذة للارواح تلطف جوانب الحياة وهل هناك لذة تعدل لذة الادب . ام غذاء ينمي العقل ويتصل بشرايينه كغذاء الادب . ؟! . لا وليس غيره من الاغـذية والمتع إلا لذة عابرة وغذاء عابر . سرعان ما يبخر ويتلاشى بمرور قليل من الزمن

لنقطف الزهرة الاولى لتكن الحجر الاساسي لاضمامتنا هذه نرى ونحن مزمعون على وضع الحجر الاساسي لهذه الاضمامة الفخر يطغي على كل لون من الوان ادب الشريف الاخرى . نراه ان تغزل نخر . وان رثى نخر . وان مدح نخر . وان هجا نخر . وان تطرق الى نوع من انواع الادب نرى صفـة الفخر تعلوه . حتى لتكاد تخفي ما يريده من ابواب الادب الاخرى .

حق له ان يفخرا . وحق له ان يملأ الدنيا ضجيجاً بالفخر والاعجاب . اذ هو مفخرة الطالبيين ونقيب الاشراف وابن الميامين من آل هاشم . وهو من ترفع ولم تحدثه نفسه يوماً ما بالوقوف على ابواب الخلفاء وقوفاً يتنافى وكرامة الانسان ولا يتفق وعزة الاباء التي يتحلى بها وهو من قال :

هيهات اغتر بالسلطان ثانية ... قد خاب ولاج أبواب السلاطين

لنسمع الفخر من مفخرة الطالبيين حين يفخر وملء عرنينه اباء وشمم :

— الفخر —

دعوا شرف الاحساب يا آل ظالم ... فلا الماء مورود ولا الترب طيب
لئن كنتم في آل فهر كواكباً ... اذا غاض منها كوكب فاض كوكب
فمتى كنعت البدر ينسب بينكم ... جهاراً وما كل الكواكب تنسب

وحين يعتز بأبائه الغر الميامين يقول :

المجد يعلم ان المجد من اربي ... ولو تماديت في غي وفي لعب
اني لمن معشر ان جمعوا العلى ... تفرقوا عن نبي او وصي نبي

وحتى الحب لا يستطيع كبح كبرياء هذه النفس الكبيرة ،
اسمعه حين يخاطب محبوبته سعدى :

ياسعد كل فؤاد في بيوتكم مثلي تحكم فيه الظلم والشغب
اني لأكرم نفسي ان يقال جنى على الفتى العربي الخرد العرب
اني على شغفي بالحب معتذر من ان يقال شجاع فله الوصب

وكيف يذل الحب من يقول . ؟!

لقيت ظلام الليل في لون مفرقي وفارقته والصبح في لون صارمي
اجوب آجام المنايا واسدها تروعني من بذيها بالهماهم
وبيني وبين القوم من آل يعرب ضغائن تثنيني زهيد المطاعم
اذا ما جنوا من ماهم ثمر العلى جنيت المعالي من غصون اللهاذم

ومنها يقول :

ونحن دلفنا للاراقم فتية يضيفون اطراف القنا في الحيازم
تطلع من خلف العجاج كأنما تطالعهم منها عيون القشاعم
اذا اشتجرا نضرب الدراك تمطقت
الى الطعن افواه النسور الحوائم

وولوا على الخيل العشاق كأنهم ... تزاحم غيم العارض المتراكم
تفيض عيون الطعن بالدم منهم ... ويغسلها فيض العيون السواجم

وكيف لا يكون كذلك من اكابره على حد قوله ..؟! :

اكابرنا والسابقون الى العلى ... ألا تلك اسود ونحن شبولها
وان اسوداً كنت شبلا لبعضها ... لمحقوقة ان لا يذل قبيلها

وهو من تتصامم الأسماع عن مقصف قوله وتتغاضى العيون من جلال منظره . يمثله لنا قوله :

قوم باسماعهم عن منطقي صمم ... وفي لواحظهم عن منظري قبل
يبددون اذا اقبلت لواحظهم ... شرب المروع لا عل ولا نهل

واكثر من ذلك من يقول :

ابيت وكان العز مني خليقة ... وهل سبة إلا وقومي أباتها
فلا تفزعوني بالوعيد سفاهة ... فلي هامة لا تقشعر شواتها
تفاوتت على عرضي عصائب جمة ... ولو شئت ما التفت على غواتها
اوليتهم صماد اذن سميعة ... اذا ما وعت الوت بها غفلاتها
يطول اذاً همي اذا كان كلما ... سمعت نبيحاً من كلاب خساتها

لذاتها هانت علي ذنوبها فلم ادر من نبذي لها من جناتها
قوارص لم تعلق بجلدي نصالها ولو كان غيري انفذته شذاتها
هم استلد غوارقش الأفاعي ونبهوا عقارب ليل نائمات حماتها

— انتفاضة الحب —

واذا ما انتفض قلبه بذكريات الحب . وارتعش بندى طله المقدس . تفتحت براعمه عن لهب يضرم زفرات العشاق . ونجيع يقطره محاجر المحبين . واذا ما تغنى بحبه فانه يتغنى ليرمز الى اسمى صور الحب المزدان بالفضيلة والعفاف . والمتوج بهالة الروعة والشرف . ولم يذهب بالحب كما ذهب غيره لأرواء الشهوات بالميول الجنسية الوضيعة . ولم يدنس بالحب المبتذل الرخيص كما هو الحال عند غيره من الشعراء . الذين يرون الحياة خمر وجسد فينغمسون باللذة المرذولة والحب المبتذل الرخيص . ومثل هذا الحب يترفع عنه الشريف . الشريف الذي يذوب بين صخرتي حبه ومجده والذي يمثله قوله :

لغير العلى مني القلى والتجنب ولولا العلى ما كنت في الحب ارغب

وهو في حبه على حد تعبير الزكي المبارك الذي حد به الحب العف الشريف فقال في كتابه ـ العشاق الثلاثة ـ ما نصه : هو حب خالص من شوائب الدنس والرجس هو حب طاهر شريف لا يعرف مخزيات المآثم ولا منديات الأهواء :

والشريف في حبه يعتري من هذا الحب . ويعب منه الكثير والكثير جداً . حدثنا اذن يامضرم زفرات العشاق . ويامعير الدموع القواني للمحبين عن اسمى آيات الحب وقدسية مجده .. حدث عباد الجمال وضحاياه عن هيكلهم المقدس باجمل ما عندك من حديث . . لنسمع القديس الأكبر لهيكل الحب . والسادن لروض الجمال وهو يمجد تمجيدة الحب الخالدة في :

— خلوة الحب —

خلونا فكانت عفة لا تعفف وقد رفعت في الحي عنا الموانع
سلوا مضجعي عني وعنها فاننا رضينا بما يخبرن عنا المضاجع

وهذه : — ضجعة العفاف —

قدرت منها بلارقيب ولاحذر على الذي نام عن ليلي ولم أنم

بتنا ضجيعين في ثوبي هوى وتقى   يلفنا الشوق من فرع الى قدم

ومنها يقول :

وبيننا عفة بايعتها بيدي   على الوفاء بها والرعي للذمم

فقمت انفض برداً ما تعلقه   غير العفاف وراء الغيب والكرم

وقوله :

ابرزتها فتخاصرنا مباعدة   عن الخيام تعفي الخطو بالأزر

ثم انثنيت ولم ادنس سوى عبق   على جنوبي لريا بردها العطر

وهذه :

— لفتة القلب —

ولقد مررت على ديارهم   وطلولها بيد البلى نهب

فوقفت حتى ضج من لغب   نضوي ولج بعذلي الركب

وتلفتت عيني فمذ خفيت   عني الطلول تلفت القلب

وقوله :

هل ناشد لي بعقيق الحمى   غزيل مر على الركب

افلت من قانصه غرة   وعاد بالقلب الى السرب

واظلم القلب الى مالك لا يحسن العدل الى القلب
يعجب من عجبي به في الهوى وا عجبي منه ومن عجبي
اقرب بالود وينأ به ويلي على بعدك من قرب
منعم يعطف منه الصبا لعب الصبا بالغصن الرطب
بلادة النعمة في طبعه وربما ناقش في الحب
اما اتقى الله على ضعفه معذب القلب بلا ذنب
ياما طلا لي بديون الهوى من دل عينيك على قلبي*

وهذا : — المالك المستبد —

رماني كالعدو يريد قتلي فغالطني وقال انا الحبيب
وانكرني وعرفني اليه لظى الأنفاس والنظر المريب
وقالو لم اطعت وكيف اعصى اميراً من رعيته القلوب

هجوم عنيف يشنه هذا المستعمر المستبد ولا شك ان الحب اقتحام واستئثار وامتلاك وهو عدوان ارواح على ارواح . واستبداد قلوب بقلوب : لك حبك ايها الشريف وعند الله اجرك ولك جزاء الشهداء الصديقين الأبرار . وعلى الله فليحتسب المحبون .

واذا ما تغنى بالمديح ارسلها انشودة الزمن واغنية الحياة الجميلة . المليئة بالموادعة والحب الخالص من شوائب الدرن وادران المادة واوضار الملق الدنيء . يرصع بالفخر جبين من يسعده الحظ بواحدة من هذه الدرر الآوابد الباقية بقاء الزمن والخلود . رغم انف الزمن والتاريخ . ولم يبغ من وراء هذا الأريج الفواح . الذي يعطر به ممدوحيه عرضاً زائلا او قبضة من مال . وانما هو ارضاء لرغبة قلبية ملحة واشباع لحب عنيف جموح لمن اخلص ودد وعاهده الوفاء . . .

وهذه خالدة من خوالده يمدح بها اباه . وقد توجه من فارس بصحبة شرف الدولة :

اغضيت عن وجه الحبيب تكرماً   وأريته ان الجفون كواسر
هب لي وحسبي نظرة ارنوا بها   فمقرها وجه الحسين الزاهر
فلثم ابلج ان اهل جبينه   جمحت اليه خواطر ونواظر
قرب الغمام فمن قريب ينثني   فيبل مربعك العريض الماطر

وها هو ينساق بدواعي الوفاء والجزاء ومقابلة الجميل بمثله فيمدح شرف الدولة الذي انقذ اباه من الاعتقال فيقول :

هذا ابي والذي ارجو النجاح به ادعوه منك طليق الهم والجذل
لولاك ما انفسحت في العيش همته ولا أقر عيون الخيل والخول
حططته من ذرى صماء شاهقة مر الزمان عليها غير محتفل

ومنها يقول :

انت طوقته بالمن جامعة قامت عليه مقام الحلي والحلل
اوسعته فرأى الامال واسعة وكل ساكن ضيق واسع الامل
جذبت من لهوات الموت مهجته وكان يطرف في الدنيا على وجل
ما كان إلا حساما اغمدته يد ثم انتضته اليد الاخرى على عجل
فاقذف به ثغر الاهوال منصلتاً واستنصر الليث ان الجنس للوعل
اولى بتكرمة من كان يحمدها والحمد يقطع بين الجود والبخل

وقد يتأثر بالرجل الفاضل . فيهتز طرباً للفضيلة . وكيف لا والفضل لا يعرفه الا ذووه . . ؟!

وها هو يمدح الفضيلة المتقمصة بابن جني فيقول :

فدى لأبي الفتح الافاضل انه   يبر عليهم ان ازم وقالا
اذا جرت الآداب جاء امامها   قريعاً وجاء الطالبون افالا
فتى مستعاد القول حسناً ولم يكن   يقول محالا او يحيل مقالا
ليقرى اسماع الرجال فصاحة   ويورد افهام العقول زلالا
ويجري لنا عذباً نميراً وبعضهم   اذا قال اجرى للمسامع آلا

وقد يمدح لغرض سام جداً . غرض يطأطأ لجلاله هام الرجال اسمعه عندما يمدح الطائع سنة ٣٧٧ ه فيقول منها :

ازل طمع الاعداء عني بفتكه   فلا سلم الا ان يطول قتال
فان نفوس الناكثين مباحة   وان دماء الغادرين حلال
وشمر فما للسيف غيرك ناصر   ولا للعوالي ان فقدت نصال
ومن لي بيوم شاحب في عجاجه   انال باطراف القنا وانال
اردني مرداً يقعد الناس دونه   ويغيظني عم عليه وخال
ولا تسمعن من حاسد ما يقوله   فاكثر اقوال العداة محال

* * *

واذا ما استعرت في صدره مراجل الغيظ . ولسعته عقارب

الضغينة . وانصهر قلبه بالضغائن والاحقاد . تفجر حمما وشواظ من نار . واسفرت ذات صدر عن لهب يسعر اواره . فينفثها قوارص كلم تلذع الجباه فتترك وسمة عار ووصمة خزي لن تمحوها السنون :

لنسمع زمجرة الاسد وهمهمة الليث وقد بانت نواجذه اعاذنا الله وايانا كم شر زمجرة هذا الاسد وعار غضبته حين يقول:

فدونكها قاصفاً عاصفاً — من الشر او عارضاً مرزما
قوارص تنثر نظم الدروع — وتستنزل البطل المعلما
فمن كان يسقيك آرى الجني — فاني سأسقيك العلقما
ومن كان يلقاك مستلما — فاني الاقيك مستلما

وقوله وقد احرج وضويق في أجمته :

احرجتني فها كها — بنت عناق والرقم
والليث لا يخرج الا — محرجاً من الاجم
كلذعة الميسم في — شواظ نار وضرم
والحية الرقطاء تر — دي ابداً بغير سم

فاستنشقوها لفحة   تجدع مارن الأشم
حقا على اعراضكم   تمطها عط الأدم
تقرض من جنوبكم   طم اللسام باللجم
كأنما تضرب في آل   عرض الاعز بالقدم
مذكورة ما بقيت   من غير عقد لوسم
ترى على عاري العظا   م وسمها وهي رمم
فلو نزعت الجلد كا   ن رقمها كما رقم
كم جردت شفارها   لحم فتى بلا وضم
خابطة لا تتقي   صدم اخ ولا ابن عم

لنسمع قعقعة القول وجلجلة الشعر حين يقول :

انا القائل المرموق من كل ناظر   اذا صلصلت للسامعين غرائبي

ويهدد ذوي السلطة والجاه بقوارص كلمه ولواذع بيانه فيقول:

فلا ترهبوني بالرماح سفاهة   فميدان اوطاني قنا وصعاد
ولا توعدوني بالصوارم ضلة   فبيني وبين المشرفي ولاد
سأمضغ بالأقوال اعراض قومكم   وللقول انياب لدي حداد

ترى للقوافي والسماء جليـة   عليكم بروق جمـة ورعاد

ثم يهدد ويتوعد من يناضله وينازله فيقول :

وقافية تخضخض ما ترامت   بها الأيام في عرض اللئيم

تردد مالها ثمن يعيبها   سوى الأطراق منها والوجوم

لها في الرأس سورات يطأطي.   لها الانسان كالرجل الأميم

ليعلم من اناضل ان شعري   يطالع بالشقاء وبالنعيم

* * *

— رثاؤه —

واذا ما ألهب الحزن صدره تفجرت شباة قلمه عن ألم دفين ممض . وترنحت الخواطر سكرى تتجاذبها الآلام والأحزان فتنسكب من فمه لحناً حزيناً يفرغـه على قيثار الوجود . ليتغنى به المحزون ومن أصيب بعزيز . وها هو قلبه المحزون يتفجر عن اسمى العواطف وانبل الغايات . حين يرثي فلذة كبـد الزهراء فيقول سنة ٣٨٧ :

يابن بنت الرسول ضيعت العهد   رجال والحافظون قليـل

ما اطاعوا النبي فيك وقد مالت بارماحهم اليك الذحول
ياحساماً فلت مضاربه الهام وقد فله الحسام الصقيل
ياجواداً ادمى الجياد من الطعن وولى ونحره مبلول
حجل الخيل من دماء الاعادى يوم يبدوا طعن وتخفى حجول
يوم طاحت ايدي السوابق في النقع وفاض الونى وغاض الصهيل
اتراني ألذ ماء ولما يروِ من مهجة الأمام الغليل
أم تراني اعير وجهي صوناً وعلى وجهه تجول الخيول
قبلته الرماح وانتضت فيه المنايا وعانقته النصول

ومنها يقول :

ياغريب الديار صبري غريب وقتيل الاعداء نومي قتيل
بي نزاع يطغى اليك وشوق وغرام وزفرة وعويل
ليت اني ضجيع قبرك او ان ثراه بمدمعي مطلول
لا اغب الطفوف في كل يوم من طوارق الانواء غيث هطول
مطر ناعم وريح شمال ونسيم غض وظل ظليل
ألم حلو لذيذ . ينبعث من موسيقى حزينة بنغم شجي حزين

ألا تتقاذفك تيارات الألم وموجات الحزن وانت تقرأ انشودته الاخرى في يوم عاشوراء سنة ٣٧٧ :

وربّ قائلة والهم يتحفني ... بناظر من نطاق الدمع ممطور
خفض عليك فللأحزان آونة ... وما المقيم على حزن بمعذور
فقلت هيهات فات السمع لائمه ... لا يفهم الحزن إلا يوم عاشور
يوم حدا الظعن فيه لابن فاطمة ... سنان مطرد الكعبين مطرود
وخر للموت لا كف تقلبه ... إلا بوطء من الجرد المحاضير
ظمآن سلى نجيع الطعن غلته ... عن بارد من عباب الماء مقرور
كأن بيض المواضي وهي تنهبه ... نار تحكم في جسم من النور
لله ملقى على الرمضاء عض به ... فم الردى بعد اقدام وتشمير
تحنو عليه الربى ظلا وتستره ... عن النواظر اذيال الاعاصير
تهابه الوحش ان تدنو لمصرعه ... وقد اقام ثلاثاً غير مقبور

ألا ترى قلبه يتناثر قطعاً وهو يعزف سمفونيته ، هذه في رثاه عبد العزيز بن يوسف الحكار سنة ٣٨٨ اذ يقول :

ابكيك ياعبد العزيز لحظة ... تعمي مطالعها وخطب مضلع

ومقاوم ما زلت تعجز ليلها　　بلسان قوال وقلب سميذع
اني ارى في المجد بعدك ثلمة　　تبقى وخرقاً ماله من مرقع

وقال في رثاء ابراهيم بن ناصر الدولة الحمداني :

الق السلاح ربيعة بن نزار　　اودى الردى بقريعك المغوار
وترجلي من كل اجرد سابح　　ميل الرقاب نواكس الابصار
ودعي الاعنة عن اكفك انها　　فقدت مصرفها ليوم مغار

وقال من قصيدة يرثي بها الصاحب بن عباد سنة ٣٨٥ :

أكذا المنون تقطر الابطالا　　اكذا الزمان يضعضع الاجيالا
أكذا تضارب الاسد وهي مدلة　　تحمي الشبول وتمنع الاغيالا
أكذا تقام عن الفرائس بعدما　　ملئت هماهمها الورى اوجالا
أكذا تحط الزهرات عن العلى　　من بعد ما شئت العيون منالا
أكذا مكب البزل وهي مصاعب　　تطوى البعيد وتحمل الاثقالا
أكذا تخاض الزاخرات وقد طفت　　لججاً واوردت الظماء زلالا
ياطالب المعروف حلق نجمه　　حط الحمول وعطل الاجمالا
واقم على يأس فقد ذهب الذي　　كان الانام على نداه عيـــالا
من كان يقرى الجهل علما نافعا　　والنقص فضلا والرجاء نوالا

ويجبن الشجعان دون لقاءه يوم الوغى ويشجع السؤالا
خلع الردى ذاك الرداء نفاسة عنا وقلص ذلك السربالا

* * *

— الوصف —

الاديب هو العدسة اللاقطـــة . الذي يحسن دقائق الاشياء وجزءياتها والتي لا يحسها غيره . فيصورها ادق تصوير بما يسبغه عليها من رتوش الفن . وطلاء يتلاءم والذوق المرهف الحساس . وهذه صنعة الاديب بريشة الفن الماهر . فيخرجها لوحة فنية أخاذة تبهر النواظر بما تتركه عليها من فن عال رفيع . . . وها هو الشريف الرضي يصور لنا بريشته قلم الصاحب بن عباد . فنؤخذ بروعة التصوير والدهشة تملكنا ونحن نقرأ :

لك القلم الماضي الذي لو قرنته
بجري العوالي كان اجرى واجودا
اذا انسل من عقد البنان حسبته
يحوك على القرطاس برداً معمدا

يغازل منه الخط عيناً كحيلة   اذا عاد يوماً ناظر الرمح ارمدا

وان مج نصل من دم الضرب احمرا

اراق دماً من مقتل الخطب اسودا

اذا استرعفته همة منك غادرت   قوادمه تجري وعيداً وموعدا

ويقول معتزاً وهو يصف قلم الصاحب بن عباد ايضاً :

لك القلم الجوال اذ لا مثقف   يجول ولا عضب تهاب مواقعه

سواء اذا غشيته النفس رهبة   وذو لهذم غش من الدم رادعه

يلجلج من فوق الطروس لسانه   وليس يؤدي ما تقول مسامعه

وينطق بالأسرار حتى تظنه   حواها وصغر من ضمير اضالعه

اذا اسود خطب دونه وهو ابيض   يسود وابيضت عليه مطالعه

وحين يصف بنات افكاره فيقول :

وعندي لك الغر التي لا نظامها   يهي ابداً ولا يبوخ شهابها

وعندي للاعداء فيك آوابد   لعاب الأفاعي القاتلات لعابها

ويصف قلم الصاحب بن عباد ايضاً :

له قلم ان جرى غربه   امنا القنا وخشينا اليراعا

ونجد براعة الوصف ودقة التصوير • تنساب من ريشة الفن الشريف حين يرثي الصاحب بن عباد ووصف ما تضمه الأقلام :

واهاً على الاقلام بعدك انها   لم ترض غير بنان كفك آلا
افقدن منك شجاع كل بلاغة   ان قال جلى في المقال وجالا
من لو يشاء طعن العدو برؤسها   واثار من جربالها قسطالا
واذا تجايشت الصدور بموقف   حبس الكلام وقيد الاقوالا
بصوائب كالشهب تتبع مثلها   ورعال خيل يتبعن رعالا

وهو ابرع وصاف حين يصف بلاغة الصاحب بن عباد فيقول :

كم حجة لك في النوافل نوهت   بدعاء دين العدل والتوحيد
ومجادل أدمى جدالك قلبه   واعضه بجوانب الصيخود
وشفيت معترض الهوى من معشر   سدوا من الاراء غير سديد
قارعتهم بالقول حتى اذعنوا   واطلت نوم الصارم المغمود
جمر بعسكة الرياح نسفته   كان الظلال يعده بوقود

— سرعة خاطره —

تحدث ابن خلكان في وفياته ج ٢ ص ٣ فقال : وذكرا بو الفتح

ابن جني في بعض مجاميعه : ان الشريف الرضي احضر الى ابن السيرافي النحوي وهو طفل جـــداً لم يبلغ عمره عشر سنين . فلقنه النحو . وقعد يوماً في حلقته . فذاكره بشيء من الاعراب على عادة التعليم . فقال له : اذا قلنا رأيت عمرو . فما عـــلامة النصب في عمرو . . ؟! فقال له الرضي : بغض علي . . . فعجب السيرافي والحاضرون من حدة خاطره : اه

— برمه من الحياة —

نراه برم من الحياة بقصيده هذا ضجر من العيش . وفيها ما فيها من الفخر والزهو . وفيها ما فيهـا من التعفف والأباء اذ يقول :

فتى سنه خمس عشرة حجة تربى له فضلا ومجداً ومحتداً
فتي الصبا كهل الفضائل ما مشى
الى العمر الا احتل من الفضل مقعدا
تفرد لا يفشي الى غير نفسه حديثا ولا يدعو من الناس منجدا
ولا طالباً من دهره فوق قوته كفاني من القدر ان ما تقع الصدى

سأحمد عيشاً صان وجهي بماءه وان كان ما اعطى قليلا مصردا
وقالوا لقاء الناس انس وراحـة
ولو كنت ارضى الناس ما كنت مفردا

ونراه يتوجع لشبيبته . وهو لما يزل في عهد الصبا وريعان الشباب . وكأنه يدري بدنو اجله قبل آوانه فيقول :

واهاً على عهد الشباب وطيبه والغض من ورق الشباب الناظر
واهاً له ما كان غير دجنة قلصت صبابتها كظل طائر
سبع وعشرون اهتصرن شبيبتي وألانَ عودي الزمان الكاسر

وها هو يودع الصبا حين بلغ الثلاثين فيقول :

من قضى عقبة الثلاثين يغدو راجعاً يطلب الصبا هيهاتا

ويقول وقد جاوز الثلاثين بقليل :

ان الثلاثين والسبع التوين به عن الصبا فهو مزور ومنعطف

ويقول وقد رأى شعيرات بيضاء برأسه :

بعد الثلاثين انقراض شبيبة عجباً اميم لقـد رأيت عجبا

ونراه يستحث عجلة الحياة . ويرى سير سنين العمر الفتي اليافع

بطيئاً . . ولماذا . ولماذا هذا البرم من الحياة · ولم يستحث مطية العمر · وهو امير الحج والصدقات . ونقيب الطالبيين . وقد بسمت له الحياة . . لم كل هذا . ؟! :

انه يريد الموت الفتي لأنه يأنف موت الهرم . . . فيموت كما يريد . . وهو ابن سبع واربعين . . ويصدق عليه قوله :

انما قصر من اعمارنا   اننا نأنف موت الهرم

فالى روح الله وريحانه ايها الشريف وسقياً لتربة ضمت جدثك الطاهر . (١)

---

(١) انقاذ البشر ص ٦ :

ومشى في جنازته فخر الملك وولده وحاشيته · حفاتاً فصلوا عليه في داره واودعوه في تربة الامام موسى بن جعفر عليه السلام : اه

قال ابن خلكان في وفياته ج ٢ ص ٣ :

ولقد اخبرني بعض الأفاضل . انه رأى في مجموع . ان بعض الادباء . اجتاز بدار الشريف الرضي بسرمن رأى وهو —

دعبل الخزاعي(١)

لو فتشنا معرض التاريخ والبوم القدامى من اسلافنا العرب .

— لا يعرفها . وقد اخنى عليها الزمان وذهبت بهجتها واخلقت ديباجتها .. وبقايا رسومها تشهد لها بالنظارة وحسن الشارة . فوقف عليها متعجباً من صروف الزمان وطوارق الحدثان . وتمثل بقول الشريف :

ولقد وقفت على ربوعهم   وطلولها بيد البلى نهب

فبكيت حتى ضج من لغب   نضوي ولج بعذلي الركب

وتلفتت عيني فمذ خفيت   عني الطلول تلفت القلب

فمر به شخص وسمعه وهو ينشد الابيات . فقال له : هل تعرف هذه الدار لمن هي . ؟! : فقال لا فقال : هذه الدار لصاحب هذه الابيات فعجبا من حسن الاتفاق .

(١) الاعلام لخير الدين الزركلي ج ١ص ٣٠٩ : دعبل الخزاعي.

واستعرضنا ما فيه من صور مغرية جذابة تتراقص بين صفحات

ـ ولد سنة ١٤٨ ـ سنة ٢٤٦ : دعبل بن علي بن رزين الخزاعي شاعر هجاء اصله من الكوفة وقام ببغداد . له اخبار وشعره جيد وكان صديق البحتري : قال ابن خلكان في ترجمته وكان بذيء اللسان . مولعاً بالهجو والحط من اقدار الناس وهجا الخلفاء فمن دونهم . وطال عمره فكان يقول لي خمسون سنة احمل خشبتي على كتفي ادور على من يصلبني عليها فما اجد من يفعل ذلك ! توفي ببلدة تدعى الطيب ـ بين واسط وخوزستان ـ كما وردت هذه الترجمة بالاغاني ج ١٨ ص ٢٩

ابن خلكان في وفياته ج ١ ص ١٨٠ ولد دعبل سنة ١٤٨ وتوفي سنة ٢٤٦ بالطيب :

عصر المأمون ج ٣ ص ٢٥٥ : مات دعبل بقرية من قرى السوس بعث اليه مالك بن طوق من ضرب ظهره بعكاز لها زج مسموم فمات من غد .

الاغاني ج ١٨ ص ٦٠ : بعث مالك بن طوق رجلا حصيفاً ـــ

التاريخ ودفتي الالبوم يتحلب لهـا الفم . ويسيل اللعاب ولا تكاد عدسة العين تلتقط غيرها من صور • وقد لا يستقر بؤبؤ العين على سواها من معروض وهل تعدو حاسة النظر معرض العطاء المسرف والبذخ الفاحش • الذي يغدقه الخلفاء والمقربون من البلاط على الادباء وقادة الفكر ومدونين التاريخ بوجه اخص (١)

ــ مقداماً • واعطاه وامره ان يغتال دعبلا كيف شاء واعطاه عشرة آلاف درهم • فلم يزل يطلبه حتى وجده في قرية من نواحي السوس • فاغتاله في وقت من الاوقات بعد صلات العتمة فضرب ظهر قدمه بعكاز لها زج مسموم فمات من غد ودفن بتلك القرية . وقيل بل حمل الى السوس فدفن فيها اهـ •

ودعبل كما جاء بالوفيات ج ١ص ١٨٠هو اسم الناقة الشارف •

الاغاني ج ١٨ص ٣٠ : الدعبل الناقة التي معها ولدها . وقال دعبل اسمه محمد وكنيته ابو جعفر و دعبل لقب لقب به وقيل الدعبل البعير المسن اهـ •

(١) هذا البحث اقتبسناه من كتابنا المثل الاعلى جعفر بن محمد . (المؤلف)

وهـذا لعمري سوق الرقيق ولا شك لبيع الضمائر ومساومة الافكار . ومن هنا تلعب السياسة في تكوين التأريخ وتغيير اتجاهاته . اذ لم يحبر سطر واحد من التاريخ إلا بارادة محلاة من ذوي الأرادة والنفوذ . او بانحراف مع العاطفـة لا يقل نفوذاً وسيطرة من الدينار نفسه . وجل ما قدمه لنا المؤرخون القدامى ونقدة التاريخ من تراث · هي حوادث مستوحاة من قصور الخلفاء ودواوين وزراءهم . لذا ترى الكلف يعلو وجه التاريخ :

قد يطنب المؤرخون فيسهبون في الأطناب . وقد يوجزون فيعطونا مصة الوشل من الحديث · · وقد يعرب التاريخ رجلا فيرفعـه ويعجم آخر يهوي به الى الحضيض . تنفيـذاً لرغبات الأسياد ودعماً لعروشهم · وعلى هذا القياس وللغرض نفسه قد اجمع النقاد . واتفق المؤرخون على ثلب الشاعر العلوي بتفكيره دعبل بن علي الخزاعي · والحط من كرامته . وتشويه ماله من صفحات في التاريخ . ولم يقس النقاد . ويتجنى المؤرخون على

الشاعر دعبل . وينحوه عن مكانته التي تستلزم الصدارة في التاريخ إلا لكونه من الحزب المناوء لحزبهم . ومن اقطاب حزب المعارض (١) لماساتهم والندد بسياستهم . التي تخالف المنهج

(١) الاغاني ج ١٨ ص ٣١ : وعصر المأمون ج ٣ ص ٢٥٦

قال ابو خالد الخزاعي لدعبل : ويحك قد هجوت الخلفاء والوزراء والقواد ، وترت الناس جميعاً فانت دهرك كله شريد طريد هارب خائف . فلو كففت عن هذا وصرفت هـذا الشر عن نفسك . فقال : ويحك اني تأملت ما تقول . فوجـدت اكثر الناس لا ينتفع بهم إلا على الرهبة . ولا يبالي الشاعر وان كان مجيداً اذا لم يخف شره . ولمن يتقيك على عرضه اكثر ممن يرغب اليـك في تشريفه وعيوب الناس اكثر من محاسنهم . وليس كل من شرفته شرف ولا كل من وصفته بالجود والمجد والشجاعة ولم يكن ذلك فيه انتفع بقولك . فاذا رآك اوجعت عرض غـيره وفضحته اتقاك وخاف من مثـل ما جرى على الآخر . ويحك ياباخالد ان الهجاء المقذع آخذ بضبع الشاعر من المديح المضرع ـــ

الذي جاء به الأسلام والذي بوأهم مقعد الخلافة وعرش السلطان اذ كان دعبل ينزع بميوله السياسية نزعة علوية . ويدين بولاء آل البيت . ومبادىء الحزب العلوي . تدفعه عقيدة دينيـــة راسخة . وايمان الولاء لعلي وآله . وآل البيت عنـد الشاعر

— فضحك أبو خالد وقال : هذا والله مقال من لا يموت حتف انفه . اهـ .

عصر المأمون ج ٣ ص٢٥٩ : قال ابراهيم بن المدبر : لقيت دعبل بن علي فقلت له : انت اجسر الناس واقدمهم حيث تقول اني من القوم الذين سيوفهم الخ الابيات . فقـال يا ابا اسحق انا احمل خشبتي منذ اربعين سنة فلا اجد من يصلبني عليهـا . وفي الأغاني ج ١٨ ص ٣٠ خمسين سنة اهـ .

ابن خلكان في وفياته ج ١ ص ١٧٩ قال دخل ابراهيم بن المهدي على المأمون فشكا حاله وقال هجاني دعبل فانتقم لي منـه . فقال المأمون لك اسوة بي فقد هجاني واحتملته وقال في : ايسومني المأمون خطة جاهل الى آخر القصيدة: قبح الله دعبلا فما اوقحه—

دعبل نقطة الارتكاز ومحور الدائرة . وكان يجهر بارائه ويصرح بعقيدته هذه . دونما فرق او خوف ودونما رهبة او رغبة . بعيد عن المراوغة والمداهنة ومصانعة السلطان .. . وتحقيقاً لرغباته السياسية وتماشياً وميوله الحزبية . يجأر بعقيدته التي تلزمه نقدا الخليفة نقداً لاذعاً وبيان مساوءه دون ما هوادة ولين . اذ يراه غاصباً لحق أئمته الاطهار . وحياة مثل هذه ثائرة . تكون مضطربة ولا شك . محدقة بالخطر وبطش السلطان . فأخذ العدة وحمل خشبته على ظهره خمسين عاماً ليصلب عليها . كما روى ذلك صاحب الاغاني وابن خلكان وغيرهما كثير من رواة التاريخ : وقد كاد ان يكون الاجماع على هذه الرواية . هذا ابن خلكان يحدثنا

— كيف يقول عني ذلك .؟ وقد ولدت في حجر الخلافة ورضعت ثديها وربيت في مهدها ا ه : عصر المأمون ج ٣ ص ٢٥٧ قال احمد بن ابي كامل : كان دعبل ينشدني كثير هجاء له . فأقول له فيمن هذه . ؟ فيقول ما استحقه احد بعينه بعد . وليس له صاحب . فاذا وجد على رجل جعل ذلك فيه ا ه

في الجلد الأول من تاريخه وفيات الاعيـان في الصفحـة ١٧٨ فيقول : كان دعبل شاعراً مجيـد إلا انه كان بذيء اللسان . مولعاً بالهجو والحط من اقدار الناس . وهجا الخلفاء فمن دونهم وطال عمره . وكان يقول لي خمسون سنة احمـل خشبتي على كتفي ادور من يصلبني عليها فما اجد من يفعل ذلك : وحـدث ابن قتيبة فقال : قال لي دعبل انا احمـل خشبتي على كتفي من خمسين سنة . لست اجد احداً يصلبني عليها اهـ

وحق لهذا الشاعر الثائر الجريء الذي يغلي كالمرجل . ان يحمل اداة اعدامه على ظهره تنفيذا لحكم الاعدام فيه ساعـة شاء الخليفة ذلك . وكيف لا . ؟ بل كيف يأمن الموت ويطمع في السلامة من يهجو الرشيد في قبره . والمأمون في دست الحكم . ؟ فيقول :

وليس حي من الأحياء نعلمه ... من ذي يمان ومن بكر ومن مضر
الا وهم شركاء في دمائهم ... كما تشارك ايسار على جزر
قتل واسر وتحريق ومنهبـة ... فعل الغزاة بارض الروم والخزر

اري امية معذورين ان قتلوا   وما ارى لبني العباس من عذر
ابناء حرب ومروان واسرته   بنو معيط ولاة الحقد والذعر
قوم قتلتم على الأسلام اولهم
حتى اذا استمكنوا جازو على الكفر

الى ان يقول :

اربع بطوس على قبر الزكي اذا   ما كنت تربع من دين على وطر
قبران في طوس خير الناس كلهم   وقبر شرهم هـذا من العبر
ما ينفع الرجس من قرب الزكي ولا   على الزكي بقرب الرجس من ضرر
هيهات كل امرىء رهن بما كسبت
له يداه فخذ ما شئت او فـــذر

يقول دعبل هذا . وهو موقن بما يقول . لم يبعث القول جزافاً على عواهنه بل تدفعه قوة عقيـدته و ايمانه . يبتغي الأجر عند الله والجزاء على قولته هذه . وهذا هو الجهاد بعينه عند دعبل .

و دعبل من عرفناه . ذو مبدأ صلد وايمان قوي رصين .

لم تؤثر فيه وفي عقيدته الزعازع والأهواء . ولم يخش السلطان ولم ترهبه هيبته . فيشحذ قريحته ينقد الخليفة المأمون . وملء قلبه ايمان بما يقول :

ويسومني المأمون خطة ظالم او ما رأى بالأمس رأس محمد
توفي على هام الخلائق مثلما
توفي الجبال على رؤوس القردد كذا
لا تحسبن جهلي كحلم ابي فما حلم المشائخ مثل جهل الامرد
اني من القوم الذين سيوفهم قتلت اخاك وشرفتك بمقعد
شادوا بذكرك بعد طول خموله واستنقذوك من الحضيض الاوهد

روى ابن عساكر بتاريخه ج ٥ ص ٢٢٧ فقال : لما سمع المأمون الأبيات . قال : كذب والله . متى كنت خاملا واني الخليفة وابن خليفة واخو خليفة . ومتى كنت خاملا فرفعني دعبل ؟!

لا شك وان المعقب لحوادث عصر المأمون . والمتتبع لسير حوادث التأريخ آنذاك يعجب كيف ان المأمون لم يغضب لكل هذا ! مكتفياً بالتعليق على ما قاله دعبل . والمأمون من نصلم .

باشارة منه جد بسيطة تطيح برأس الشاعر دعبل وتعدمه الحياة لما يتمتع به الخليفة وقتئذ من حكم دكتاتوري مطلق . اذن لم كل هذا الأدلال . ولم كل هذا التغاضي عمن يندد بسياسته وسياسة ابيه . ؟! ولم كل هذا التمادي من الشاعر نفسه . ؟

أكان المأمون يتمتع بحلم الأحنف بن قيس . أم حبا بسواد عيون الشاعر دعبل حامل معول الهدم والتخريب للتاج العباسي . أم ماذا . ؟ لا . لا هذا ولا ذاك السبب في حقن دم الشيخ دعبل ودفع عادية القتل عنه . اذ كان الشاعر دعبل مرهوب الجانب عزيز المكانة . تدعمه قبيلته خزاعة (١) ترد عنه عاديات الزمن .

---

(١) العقد الفريد ج ٢ ص ٢٤١ : خزاعة هو عمر بن ربيعة ابن حارثة بن عمر بن عامر . وانما قيل لها خزاعة لأنهم تخزعوا من ولد عمر بن عامر في اقبالهم من اليمن . وذلك ان بني مازن من الازد لما تفرقت الأزد من اليمن في البلاد . نزل بنو مازن على على ماء بين زبيد وزمع يقـال له غسان . فمن شرب منه فهو غساني . واقبل بنو عمرو فانخزعوا من قومهم فنزلوا مكة . ثم —

وخزاعة ملء الأرض كما يقول دعبل :

كانت خزاعة ملء الأرض فاتسعت
فقص مر الليالي من حواشيها .

ويعدد صاحب العقدالفريد بطون من خزاعة فيقول : بارق والهجن . وبجيلة . وخثعم .وهمدان . ومذحج وطي . ولخم وجـذام . وعاملة . وخولان . وجرهم . وحضرموت وتتفرع خزاعة من الاوس والخزرج :

ولم يكن المأمون ذلك الخليفة الكيس . العـالم كيف يدير شؤون الخلافة وسياسة الدولة . يجهل مكانة الشاعر في قومه . واعزازهم اياه . واذا ما غضب دعبل غضبت خزاعـة لغضبه . ونورد قصة قصيرة تدلنا على اعزاز الشاعر دعبل في قومه :

جاء خزاعي ممن يجد على دعبل الى النسابة ابن الكلبي فقال : ـ ان دعبلا قد طعننا فلو اخبرت الناس انه ليس من خزاعه ـ اه

ـــ اقيل اسمه ومالك وملكان بنو قصي بن حارثة فانخزعوا فسموا خزاعة : اه .

فاجابه النسابة ابن الكلبي : ـ مثل دعبل تنفيه خزاعة ! والله لو كان من غيرها لرغبت فيه حتى تدعيه . دعبل والله ياأخي خزاعة كلها ـ ورغم هذا كله . ففي كل خطوة يخطوها دعبل . يحفه الخطر ويحدق به الموت . ويتراءى له سيف الجلاد . لأعلانه الجهاد ضد الدولة العباسية . القائمة على ظلم العلويين وتشريدهم . وها هو يرفع راية الجهاد . ويصرخ ملء فمه عندما استخلف المعتصم فيقول :

بغداد دار الملوك كانت حتى دهاها الذي دهاها
ما غاب عنها سرور ملك اعاده الى بلدة سواها
ليس سامراء تسر من رأى بل هي بؤس لمن يراها
عجل ربي لها خرابا برغم انف الذي ابتناها

ولم تقف به ثورته عند هذا الحد الذي اقل ما فيه يوجب اعدامه بل يتعداه فيقول في هجاء المعتصم :

بكى لشتات الدين مكتئب صب
وفاض بفرط الدمع من عينه غرب

وقام امام لم يكن ذا هداية   فليس له دين وليس له لب
وما كانت الأنباء تأتي بمثله   يملك يوماً او تدين له العرب
ولكن كما قال الذين تتابعوا   من السلف الماضين اذ عظم الخطب
ملوك بني العباس في الكتب سبعة
ولم تأتنا عن ثامن لهم كتب
كذلك اهل الكهف في الكهف سبعة
خيار اذا عدوا وثامنهم كلب
واني لأعلى كلبهم عنك رفعة   لأنك ذو ذنب وليس له ذنب
لقد ضاع ملك الناس اذ ساس ملكهم
وصيف واشناس وقد عظم الكرب

وكادت هذه القصيدة ان تودي بحياته . وتصعده ارجوحة الابطال . لولا توسط ابراهيم بن المهدي . كما روى ابن عساكر في مصدره وما هذا نصه : قال دعبل . ادخلت على المعتصم فقال لي : ياعدو الله ! انت الذي تقول في بني العباس انهم في الكتب سبعة . وامر بضرب عنقي . وما كان فى المجلس إلا من كان

عدواً لي . واشدهم ابن شكله ابراهيم بن المهدي . فقام وقال : ياامير المؤمنين . انا الذي قلت هذا ونميته الى دعبل . ومااردت بهذا إلا كما تعلم ما بيني وبينه من العداوة فاردت ان اشيط بدمه فقال اطلقوه :

ولم يقطع العفو هذا لسان الشاعر دعبل . ولم يحد من شبا مقوله في بني العباس . وثورته على القائمين بالحكم . ولم يفلت دعبل من الموت . ويخلص من فكي الاسد ليخضع ويستكين بل ليخرج ثورة في رجل . قال وقد جاءه نعي المعتصم وقيام الواثق :

الحمد لله لا صبر ولا جلد ولا عزاء اذا اهل البلا رقدوا
خليفة مات لم يحزن له احد وآخر قام لم يفرح به احد

وقال عند ما مات المعتصم :

قد قلت اذ غيبوه وانصرفوا في شر قبر لشر مدفون
اذهب الى النار والعذاب فما خلتك إلا من الشياطين
ما زلت حتى عقدت بيعة من اضر بالمسلمين والدين

وهو في ابياته هذه يعارض محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم حين قال :

قد قلت اذ غيبوه وانصرفوا ‌ ‌ في خير قبر لخير مدفون

لن يجبر الله أمة فقدت ‌ ‌ مثلك إلا بمثل هرون

وحتى الايام وتقادم السنين لم تثنى عزمة الشاعر دعبل من ان يقول في المتوكل :

ولست بقائل قذعاً ولكن ‌ ‌ لأمر ما تعبدك العبيد

ودعبل يقظ حذر . ذو فطنة وذكاء . لا تفوته النكتة الادبية . ولا تفلت منه النادرة . ينتهز الفرصة . ويستغل الفلتة للتشهير باعداءه و تصديع العرش العباسي المناوىء لحزبه . .

وهذه قصة ترويها معظم كتب الادب والتاريخ . قصة ابراهيم ابن المهدي . ابان ثورته على المأمون . استغلها دعبل لغرضه السياسي . ولنترك الحديث لصاحب الاغاني . حيث يقول في تاريخه ـ جعل يسوفهم . اي ابراهيم بن المهدي . ولا يرون له حقيقة . الى ان خرج رسوله اليهم يوماً . وقد اجتمعوا وضجوا

فصرح لهم بان لا مال عنده . فقال قوم من غوغاء بغـداد . اخرجوا الينا خليفتنا ليغني لأهل هذا الجانب ثلاثة اصوات ولأهل هذا الجانب ثلاثة اصوات فتكون عطاء لهم ـ :

ارسلها دعبل انشودة الزمن فقال :

يامعشر الأجناد لا تقنطوا وارضوا بما كان ولا تسخطوا
فسوف تعطون حنينـــة يلتذها الامرد والأشمط
والمبـــديات لقوادكم لا تدخل الكيس ولا تربط
وهكذا يرزق قواده خليفـــة مصحفه البربط
قد ختم الصك بارزاقـكم وصحح العزم فـلا تقنطوا
بيعـــة ابراهيم مشؤومة يقتل فيها الخلق او يقحطوا

وابراهيم هذا ذو حنجرة موسيقية . مشهور بالغناء وعارف باصوله . وهذه ثغرة جد كبيرة . يتسلل منها الى هـدم الدولة العباسية . وها هو دعبل يتسلل مرة اخرى من هذه الثغرة فيقول:

لغراب شكلة(١) بالعراق واهله فهفا اليــه كل اطلس مائق

---

(١) ابن شكلة ابراهيم ابن المهدي .

انى يكون وليس ذاك بكائن   يرث الخلافة فاسق عن فاسق
ان كان ابراهيم مضطلعاً بها   فتصلحن من بعده لمخارق (١)

هذا هو دعبل . وهذه صفحة من صفحات جهاده المقدس وقسم قليل من حياته الثائرة المضطربة . والذي يتهمه على مثل هذه الحياة ، كبير نقاد الأدب . شيخ معرة النعمان . ويطعنه في دينه برسالة الغفران ص ٢١٨ . ويكاد ابو العلاء وحده ينفرد من بين النقاد يطعن دعبل في دينه فيقول تحت عنوان دعبل بن علي وما يلحقني الشك في ان دعبل بن علي لم يكن له دين فكان يتظاهر بالتشيع . وانما غرضه التكسب. ولا ارتاب في ان دعبلا كان على رأي الحكمي وطبقته . والزندقة فيهم فاشية . ومن ديارهم ناشية . ويقول في لزومياته :

لو نطق الدهر هجا اهله   كأنه الرومي اودعبل

فكان هذا الناقد الكبير . ينظر دعبلا بمنظار اسود قاتم السواد . في زمن اشتدت حملة النقاد والمؤرخين فيه على دعبل .

---

(١) مخارق : المغني المشهور .

واثر تواطيء المؤرخين والنقاد في نفس العري . فاضاف دلعنة نجلاء (١) الى تاريخ الشيخ دعبل . ولست ادري كيف اوفق

(١) الاغاني ج ١٨ ص ٣١ عصر المـأمون ج ٣ ص ٢٥٦ كان سبب خروج دعبل من الكوفة . انه كان يتشطر و يصحب الشطار فخرج هو ورجل من اشجع فجاءا بين العتمة والعشاء فجلسا على طريق رجل من الصيارفة . وكان يروح كل ليلة بكيسه الى منزله . فلما طلع مقبلا اليهما . وثبا اليه فجرحاه وأخذا ما في كمه فاذا هي ثلاث رمانات في خرقــة . ولم يكن كيسه ليلتئذ معه ومات الرجل مكانه واستتر دعبل وصاحبه . وجد اولياء الرجل في طلبهما . وجد السلطان في ذلك فطال على دعبل الاستتار . فاضطر الى ان هرب من الكوفة . فما دخلهــا حتى لم يبق من اولياء الرجل احد اهـ .

وورد بالمصدرين السابقين الاغاني ج ١٨ ص ٣٦ . وعصر المأمون ج ٣ص ٢٦٠ . انه يصاحب الشراة والصعاليك ويوا كلهم ويأنس بهم ويأنسون به الخ الرواية .

بين ما قاله كبير نقاد الأدب . وبين ما كانت عليه حالة دعبل آنذاك . وهذا ابن عساكر يروي قصة املاق دعبل فيقول في الجلد الخامس من تاريخه ص ٢٣٢ ـ وكان بينه اي دعبل وبين مسلم بن الوليد آزار . لا يملكان غيره . فاذا اراد دعبل الخروج جلس مسلم في البيت عاريا . واذا خرج مسلم جلس دعبل كذلك وكانا اذا اجتمعا لدعوة متلاصقان فيطرح هذا شيئاً منه عليه والآخر الباقي ـ :

قد اكون مغالياً ومسرفا في الغلو الى حد بعيد . وجريئاً الى ابعد حدود الجرأة . بحكمي على شيخ نقاد الادب بالشذوذ بعد الفراغ من رواية ابن عساكر هذه . وما نسبه شيخ المعرة لدعبل. لا شك وان الرجل مدفوع في ما كتب بشذوذ العبقرية وجنون العظمة الادبية . وإلا لما حكم على دعبل بهذا الحكم القاسي المؤلم . دعبل يتشيع ليكسب . ؟ في وقت كان التشيع فيه جريمة . وغير خاف على المتتبع للسير والباحث في التاريخ . ما لذلك الدور المظلم العصيب . الذي عاش فيه شاعرنا دعبل من

عنت وارهاب . وغمط حقوق واجحاف وظلم وتقتيل وتشريد اذ كانت السلطة التنفيذية آنذاك تطارد الشيعة . فيؤخذالرجل بالشك والشبهة وظنة التشيع وتهمة الولاة لعلي . فيهدم داره وينهب ماله وتنتهك حرمته . ويقتل ويصلب وقد يعذب احيانا قبل تنفيذ حكم الموت فيه . بقطع يديه ورجليه ولسانه وسمل عينيه والى غير ذلك من انواع التعذيب . وليست جريمة الكفر والزندقة والالحاد والخروج عن الدين آنذاك بنظر السلطة الحاكمة كجريمة التشيع لعلي وآل علي حتى بلغت الحال ان قيل :
ـ ان الرجل ليقال له كافر او زنديق احب اليه من أن يقال له شيعة علي ـ : اذ بلغ الاضطهاد في ذلك الدور المظلم العصيب بالخواص والخلص وحتى العامة من شيعة علي اشده .. ولو اراد دعبل الكسب كما زعم شيخ المعرة لما انظم الى جماعة مطاردة مملقة لا تجد البلغة من العيش وغير آمنة . ولانظم الى ركب الخلافة وشايع السلطان . ولم يكن حظه بالكسب لو اراد باقل من حظ معاصريه ابي تمام والبحتري وابي نواس وغيرهم من

شعراء العصر العباسي . . ولعـل الشيـخ المعري اراد ما كسبه دعبل من الامام الرضا عليه السلام بتائيته المشهورة :

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصات

اترك الحديث للتأريخ . فهو يحدثنا بالاجماع عن هذه الرواية قال دعبل : دخلت على علي بن موسى الرضا عليهم السلام . فقال انشدني شيئاً مم اخذت : فانشدته مدارس آيات حتى انتهيت الى قولي :

اذا وتروا مدوا الى واتريهم اكفاً عن الأوتار منقبضات

فبكى حتى اغمي عليه . واومأ الى خادم كان على رأسه ان اسكت فسكت ساعة . ثم قال لي اعد : فاعدت حتى انتهيت الى هذا البيت فاصابه مثل الذي اصابه في المرة الأولى . فاومأ لي الخادم ان اسكت فسكت . فمكث ساعة اخرى ثم قال لي اعد فاعدت حتى انتهيت الى آخرها فقال لي احسنت ثلاث مرات ثم امر لي بعشرة آلاف درهم مما ضرب باسمه ولم تكن دفعت الى احد وامر لي من في منزله بحلي كثيرة اخرجه لي الخادم . فقدمت

العراق فبعت كل درهم منها بعشرة دراهم اشتراها مني الشيعة ·
فحصل لي مائة الف درهم فكان اول مال اعتقدته · اي ملكته
ولم يأخذ ما اخذ من دراهم الأمام الرضا عليه السلام · الا
بدافع الوجوب ولزوم الطاعة ولو شاء دعبل الكسب لأنضم الى
التاج العباسي · ولربح اضعاف ما اخذه من الأمام الرضا ومن
شيعة الامام الرضا مرارا ومرارا دنانير بدل هذه الدراهم :

ولنترك بقية ما قاله النقاد والمؤرخون في دعبل · من قول
فاحش هجين لما استغناه في صـــدر هذا الحديث من سبب ·
ومعظم هذا التاريخ مستقى من الاغاني · ويجب ان يحاط تاريخ
دعبل بهالة من الاعجاب والاكبار · وجدير بوسام المجد والخلود
لما خلق من تراث ادبي خالد · على قلته لم يدنس بالعطاء الدنيء ·
ولم تشب ميوله السياسية شائبة الطمع · فرحم الله دعبلا ما ذر
شارق وما غرب ·

عكاشة العمي (١)

هذه اصداء الزمن الغابر . تتجاوب على صفحات التاريخ العربي . لينبعث لنا من اعماق القرن الثاني من الهجرة . لحن الادب

---

(١) هو عكاشة بن عبد الصمد العمي من اهل البصرة من بني العم . واصل بني العم كالمدفوع فيهم . يقال انهم نزلوا ببني سليم بالبصرة في ايام عمر بن الخطاب فاسلموا وغزوا مع المسلمين وحسن بلاءهم فقال الناس : انتم وان لم تكونوا من العرب اخواننا واهلنا وانتم الأنصار والأخوان وبنو العم فلقبوا بذلك وصاروا في جملة العرب . وعكاشة شاعر مقل من شعراء الدولة العباسية . ليس ممن اشتهر و شاع شعره في ايدي الناس . ولا ممن خدم الخلفاء ومدحهم هذا ما رواه صاحب الاغاني في الجزء الثالث من اغانيه ص ٧٣ — ٧٧ : وذكره —

الرفيع . موقعاً على قيثار عكاشة . لتفرغه نغماً حلواً في مسمع

—الزركلي من اعلامه ج ٢ ص ٦٤٨ :فقال عكاشة بن عبد الصمد العمي شاعر مقل مجيد . من شعراء العصر العباسي . لم يكثر الناس من تداول شعره ولم يكن ممن خدم الخلفاء ومدحهم . وهو من اهل البصرة ولد سنة ٧٥٠ هـ : وجاء في دائرة معارف فريد وجدي ج ٦ ص ٥٣٥ فقال : عكاشة بن عبد الصمد العمي ولم نقف له على تاريخ وفاة : وجاء في زهر الآداب لأبي اسحق الحصري القيرواني ج ٣ ص ٢٧ ما نصه : عكاشة بن عبد الصمد البصري . ظريف الشعر . نقي الديباجة وكان شاعراً مجيداً اهـ

وروى صاحب الاغاني ج ٣ ص ٧٣ فقال : لما تواقف جرير والفرزدق بالمربد للهجاء اقتتلت بنو يربوع وبنو مجاشع فامدت بنو العم بني مجاشع وجاءوهم وفي ايديهم الخشب فطردوا بني يربوع فقال جرير من هؤلاء . ؟ فقالوا بنو العم فقال يهجوهم :

ما للفرزدق من عز يلوذ به   إلا بني العم في ايديهم الخشب
سيروا بني العم فالاهواز داركم   ونهر تيري ولم تعرفكم العرب

الخلود . ترجمه الاجيال بكل اعجاب واكبار وتقدير . وعكاشة هذا كما قدمه لنا التاريخ . بنى مجده الادبي الخالد دون مصانعة وتزلف الى الخلفاء . ودون ان يكون للسلطان اثر في نتاجه الادبي الرائع . لذا اهمله التاريخ ولم يعن به المؤرخون . عنايتهم بالمحظوظين من الشعراء المقربين من السلطان . ولكن الزهر يعبق شذاه . ويدل عليه اريجه دون جلبة وضوضاء ودون مهرج ودليل . لذا تجد بين صفحات التاريخ . زهرات عبقة الشذى فواحة الاريج . تستحثك لالتهامها بنهمة وشره . وينبثق من خلالها نور ضئيل . يهديك حيث العبقرية والنبوغ لذلك العصر والعصارة الذهنية للقرن الذي يعتز بعكاشة . . .

لا شك وانها فترة ضاحكة من فترات الزمن . جادت بها الحياة . لتسعد الأنسانية بادب دسم وغذاء فكري شهي عزيز النتاج . رعف به قلم حرابي بما لذ وطاب :

قد يعتصر الأديب ذهنه للحديث عن هـذا الشاعر ويكد قريحته وفكره . فلا يواتيه إلا رفث القول وتافه الكلام وقد

تواتيه الظروف والمصادفات فيسعده الجري ويوفق للحديث الى ابعد حدود التوفيق . وقد لا يكونها معاً . وقد يكون مغالياً مسرفاً في الغلو . وقد يكون مقصراً ممعناً في التقصير . وقد لا يكونها معاً . ان تحدث عن هذا الأديب الذي غمره التاريخ وغبنه المؤرخون .

انا وللاسف لم اوفق وكبا بي الحظ . فلم اعثر له إلا على بعض قطع شعرية مبعثرة هنا وهناك بين دواوين الادب وموسوعات التراجم وهذه القطع المبعثرة لم تلق الضوء الكافي على تلك الشخصية الادبية لأستطيع بواسطتها تقديمه كأحسن ما يقدم به اديب وتكريمه خير تكريم . وقد قيل — ما وفق البشر ولن يوفق الى خدعة اظرف ولا اطرف من خدعة تكريم العظماء وتعظيم النابغين . والتنويه بذكرهم ودلالة الناس على سر عظمتهم والرفع من اقدارهم . الى حيث ينالون بعض ما يجب لهم من لهج الناس بهم . والحرص على ما سأروه من آثار قيمة ومتاع باق مستمر . وانا ان قدمت هذا الاديب الذي يرسف بقيود

فرضها عليه التاريخ واقرها المؤرخون فاذا اقدم اديباً ذا عواطف متفجره من ينابيع قلب اضره الوجد وشفه الهوى . وها انا احدثكم شيئاً من نتاجه الادبي وقبساً من شعلة افكاره التي صارعت الجهل وجمود الحركة الفكرية آنذاك . . وهاهي تنبعث من جديد رغم تطاول الزمن وتقادم العهد والسنين . لمحاربة الركود الادبي وبعث نشاط ادبي مشبع بجو ذهني دسم . يكتسح هذا البؤس الثقافي وهذه الفاقة الفكرية . وهذه نتيجة حتمية لما قيل مات الانسان وعاش الادب ترتيلة الوجود . . وها هو عكاشة يبعث لينشدنا اطروحة الحب والهوى وانشودة الزمن الخالدة . انشودة الحب المعطر . يصور لنا فيه الحب اصدق تصوير ويشخص خيبته بالقطيعة ونكث العهد فيقول :

علام حبل الصفاء منصرم   وفيم عني الصدود والصمم
يامن كنينا عن اسمه زمنا   نبتغ مرضاته ونحترم
قد عيل صبري وانت لاهية   عني وقلبي عليك يضطرم
من جذ حبل الوفاء سيدتي   منك ومن سامني له العدم

فكم اتاني واشٍ بعيبكم فقلت اخسأ لا أنفك الرغم
انت الفداء والحمى لمن عبث فارجع صاغراً راغماً لك الندم

ثم وصلته بعد القطيعة فقال :

يارب خذلي من الوشاة اذا قاموا وقمنا اليك نختصم
دبوا اليها يوسوسون لها كي يستنزلوا حبيبتي زعموا
هيهات من ذاك ضل سعيهم ما قلبها المستعار يقتسم
ياحاسدينا موتوا بغيظكم حبلي متين بقولها نعم
بالله لا تشمتي العداه بنا كوني كقلبي فلست اتهم

وتهزه فرحة اللقيا وتأخذه نشوة الوصل . وتتفاعل هذه الفرحة وتلك النشوة . لتهدي المحبين انشودة القلب وبهجة اللقاء دون ان تتعفر الجباه بتراب الرذيلة او تسجد لآلهة اللذة التي يسمونها دون استحياء الحب . . ! والحب ارفع من ان ينزل الى هذا المستوى الوضيع . . فيصف لنا عكاشة الهوى العذري والهوى الرفيع والحب العالي . دون ان يمس بسوء وهو في خلوة مع الحبيب . بعيد عن العواذل والحسد وليس في مجلسه ألا خدن

وصديق فيقول :

سقياً لمجلسنا الذي كنا به يوم الخميس جماعة آترابا
في غرفة مطرت سماوة سقفها بحيا النعيم من الكروم شرابا
اذ نحن نسقاها شمولا قرقفاً تدع الصحيح بعقله مرتابا
حمراء مثل دم الغزال وتارة بعـــد المزاج تخالها زريابا
من كف جارية كأن بنانها من فضة قد قمعت عنابا
تزداد حسناً كأسها من كفها ويطيب منها نشرها احقابا
واذا المزاج علا فشح جبينها نفثت بألسنة المزاج حبابا
وتخال ما جمعت فاحدق سمطه بالطوق ريق حبائب ورضابا
كسفت المناصف ان تذب اكفها عنها اذا جعلت تفوح ذبابا
والعود متبع غناء خريدة غرداً يقول كما تقول صوابا
وكأن يمناها اذا نطقت به تلقى على يدها الشمال حسابا
وهناك خف بنا النعيم وصار من دون الثقيل لنا عليه حجابا
آليت لا الحي على طلب الهوى متلذذاً حتى اكون ترابا

ويغدر الزمن غدرته . فيئد هذا الحب الوليد ويودي به .

ليهدينا سمفونيةالحب الذبيح بدمالقلب الموؤد . ويتحفنا برائعة من روايع هذا الحب . فيوفد تاجراً بغداديا يشتري نعيم (١) من مولاتها . كما رواه صاحب الأغاني . فينفجر عكاشة بهذه الخريدة العصماء :

ألا ليت شعري هل يعودون ما مضى
وهل راجع ما مات من صلة الحبل

وهل اجلسن في مثل مجلسنا الذي نعمنا به يوم السعادة بالوصل
عشية صبت لذة الوصل طيبها علينا وافنان الجنان جنى البذل
وقد دار ساقينا بكاس روية ترحل احزان الكئيب مع العقل
وشج شمولا بالمزاج فطيرت كألسنة الحيات خافت من القتل
فبتنا وعين الكاس سح دموعها لكل فتى يهتز للمجد كالنصل
وقينتنا كالظبي تسمح بالهوى وبث تباريح الفؤاد على رسل
اذا ما حكت بالعود رجع لسانها
رأيت لسان العود من كفها يملي

---

(١) نعيم اسم عشيقته .

فلم أر كاللذات امطرت الهوى ولا مثل يومي ذاك صادفه مثلي

وتعاوده الذكريات ويمضه الحنين . ويقضه الهجر ويذكر طيب ما مضى من لذة القرب وهناءة الوصل فيقول :

انعيم حبك سلني وبلاني والى الأمر من الأمور دعاني
انعيم لو تجدين وجدي والذي القى بكيت من الذي ابكاني
أنعيم سيدتي عليك تقطعت نفسي من الحسرات والأحزان
أنعيم قد رحم الهوى قلبي وقد بكت الشباب اسى على جثماني
انعيم وانحدرت مدامع مقلتي حتى رحمت لرحمتي اخواني
انعيم مثلك الهيام لمقلتي فكأنني ألقاك كل مكان
انعيم نظرة سحر عينيك بالهوى معروفة بالقتل في انسان

ومنها يقول :

حتى يعود كأن حبة قلبه مشدودة بمثالث ومثان
ظلت تغنيني وتعطف كفها بالعود بين الراح والريحان
فسمعت ما أبكى واضحك سامعاً
وسكرت من طرب ومن اشجان

ومشيت في لحج الهوى متبختراً ومشى الي اللهو في الالوان
فعلمت ان قد عاد قلبي عائد من بين عود مطرب وبنان

ويؤرقه السهاد فلم يستطع ضبط اعصابه . ومن هستريا الحب اتهامه من احب بالسلو حيث يقول :

طرفي يذوب وماء طرفك جامد وعلي من سيما هواك شواهد
هذا هواك قسمته بين الورى ومنحتني ارقاً وطرفك راقد
فعلي منـه اليوم تسعة اسهم وعلى جميع الناس سهم واحد

وكيف لا وهي من تقول فيها ؟! :

كيف اشتهت خلقت حتى أذا اعتدلت
تمت قواماً فـلا طول ولا قصر

وحق لك ان يأخذك الضعف والهزال . وحق النـاس ان يختلفوا في سبب هذا الضعف والهزال . وحق لهم ان احاطوك بالرقى والتعاويذ . . فضحكت بسرك على ما ذهب اليـه الناس وما ظنوه فقلت :

وجاءوا اليه بالتعاويذ والرقى وصبوا عليه الماء من شدة النكس

وقالوا به من اعين الجن نظرة ولو صدقوا قالوا به اعين الانس

وذكرت ماضيك مع من تهوى حين رق الهوى وراق . وشف الحب بحيث الايماءة تغني عن الكلام . وتنطق الحواجب بخافية الصدور فقلت :

وجه التواصل بيننا في الحسن كالقمر المنير
ايماؤنا يحكي الكلام وسرنا فطن المشير
وحديثنا بحواجب نطقت بالسنة الضمير
بل رسلنا الكتب التي تجري بخافية الصدور

هذا بعض ما وفقنا للعثور عليه من نتاج هـذا الأديب . عسى ان نوفق للعودة ثانية للحديث فنفرد له كتابا مستقلا ومن الله نستمد المعونة والتوفيق م؟

العمارة خليل رشيد

مراجع الكتاب

نقد النثر	—	لجعفر بن قدامة البغدادي
النثر الفني	—	للدكتور زكي مبارك
عبقرية الشريف	—	» » »
حقائق التأويل	—	منشورات منتدى النشر
شرح النهج	—	لأبن ابي الحديد
ديوان الشريف	—	للشريف الرضي
نهج البلاغة	—	محمد عبده
يتيمة الدهر	—	للثعالبي
ترجمة الشريف الرضي	—	للشيخ محمد رضا آل كاشف الغطاء
تاريخ بغداد	—	للخطيب البغدادي
عمدة الطالب	—	» »
تأسيس الشيعة لفنون الاسلام		» »

الشريف الرضي	—	الدكتور نجيب محفوظ
مختصر تاريخ بغداد	—	لعلي ظريف الأعظمي
العشاق الثلاثة	—	للدكتور زكي مبارك
وفيات الاعيان	—	ابن خلكان
انقاذ البشر من الجبر والقدر		للسيد المرتضى
الاعلام	—	لخير الدين الزركلي
الاغاني	—	لأبي الفرج الاصفهاني
عصر المأمون	—	» » »
ابن قتيبة	—	» » »
ابن عساكر	—	» » »
العقد الفريد	—	ابن عبد ربه
رسالة الغفران	—	المعري
زهر الآداب	—	لأبي اسحق الحصري القيرواني
دائرة المعارف	—	لفريد وجدي

آثار المؤلف المطبوعة

الحياة قصص	—	مجموعة قصص
خمر وغيد	—	مجموعة قصص
المثل الاعلى جعفر بن محمد		بحث وتحليل
ثلاثة من الاعلام	—	بحث وتحليل

ملحوظة : وقعت هناك بعض الأخطاء المطبعية البسيطة تركناها لفطنة القارىء اللبيب نعتذر من وقوعها .